الشجاعة للصلاة

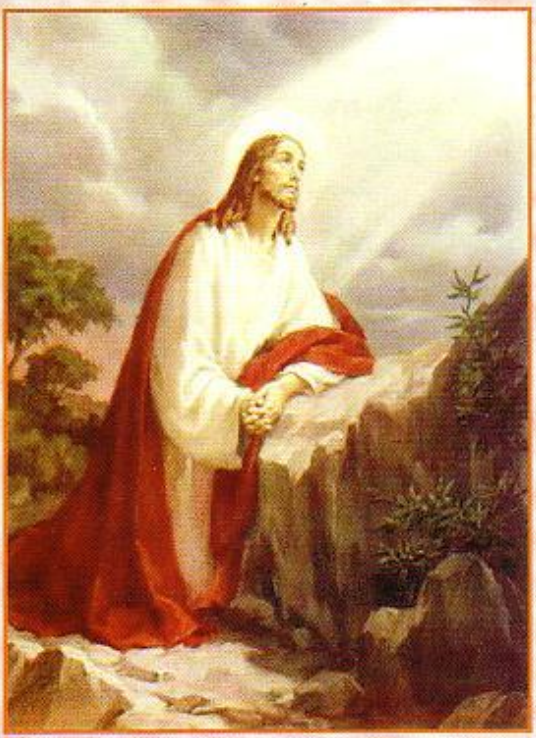

المترابوليت انطوني بلوم وجورجيس ليفيفر

نقله إلى العربية

الأب حبيب هرمز والشماس مسعود هرمز

العنوان بالإنكليزية

COURAGE TO PRAY

Anthony Bloom
And georges Lefebure, O.S.B

PAULIST PRESS
New York
U.S.A.
1973

نقله إلى العربية
الأب حبيب هرمز النوفلي
والشماس مسعود هرمز

المنقح اللغوي
الإستاذ إدريس حمامة
لندن
2006

نشر موقع الكنيسة الكلدانية الالكتروني في بريطانيا
www.chaldean.org.uk

2013

المقدمة

عندما كنت ادير مكتبة كلية بابل للفلسفة واللاهوت ببغداد سنة 2002 وصلت المكتبة مجموعة من الكتب اهداها سيادة المطران شليمون وردوني. وعندما بدأنا فرز الكتب انتبهت الى كتاب روحي رأيته أنه مهم جدا لنا كي نقوي حياتنا الروحية. والسبب في ذلك إن مؤلف الكتاب (المترابوليت انطوان بلوم) ذو باع طويل في مجال الروحانيات، وسبق أن تعرفنا على خبرته من خلال كتابه المستنسخ ببغداد (مدرسة الصلاة). لذلك اتصلت بأخي الشماس مسعود كي يساعدني في ترجمته بسرعة خدمة لابناء الكنيسة كي يساعدهم في تقوية حياتهم الروحية.

كنا نترجم وسط حالة الحرب التي عشناها سنة 2003 حيث انهمرت على بغداد القذائف وطارت فوقها الطائرات الحربية واهتزت المباني وتحطمت، وهاجر من هاجر وصمد من صمد صابرا على بلواه متعزيا بالصلاة ورفقة العائلة المقدسة حيث كنا نقدس في الكنيسة ولا نعلم الصاروخ القادم اين سيسقط أو متى ستفجر الكنيسة.

لقد هيأت في كنيسة مار كوركيس الجو المناسب للترجمة مستعينا بالمولدة أو العاكسة أو اللالة (اللمبة) أو الفانوس وأخيرا الشموع متحديا شذوذ الوضع. فكان الكتاب غذاء روحيا إضافياً. وبسبب انتقالي إلى انكلترة تأجل طبع الكتاب حتى بداية 2006 حيث اقدمه هدية لكل ذات عطشى للإقتراب من ينبوع الحياة (المسيح الحي) خصوصا احبائي المكرسين واعضاء جماعات الخدمة الذين أعتز بهم كثيراً.
نحن نحيا في سنوات حرب روحية حيث الحضارة المادية تسعى لمحو كل ما يمت للروح بصلة، لذلك من الضروري الإنتباه لهذا الخطر لأنه يصعب محو البعد الروحي في حياة الإنسان، ولا يمكن العيش دون قيم الخير والمحبة والجمال حيث ستبقى محبة المسيح تاج كل حياة تسعى لبناء الإنسان.

الأب حبيب هرمز النوفلي لندن 3كانون الثاني 2006

المحتويات

القسم الأول: الإكتشاف

اكتشاف
علاقة ثلاثية
المشاركة
مثلما من خلال قدح مظلم
طبيعة هذه المشاركة
النظر
السماع
الطاعة والمحبة
عين نقية للحكم
خبرة التحديق
دعني أعرف نفسي
دعني أعرفك
غياب الله
برطيماوس
الصلاة وسط الضوضاء
سكون العاصفة
الصلاة الثابتة
دور النسك
عزاء آيات الكتاب المقدس
الإستعانة بذواتنا
صمت الله وصمت الإنسان
البحث عن الصمت
جارنا والصلاة

الشفاعة
ناتالي في المسيح
شفاعة المسيح
صورة أم يسوع
الكنيسة سر اللقاء
القديسون
الصلاة الطقسية

القسم الثاني: الرب يبقى معنا

مقدمة
لست لوحدك أبداً
فقدان الذات
الشركة
في حالتنا المتواضة
المحبة المتواضعة
بالإيمان
كن متواضعا مع الله
الحاجة للآخر
المعرفة من اجل الإيمان هو الذي يحبنا
تواضع الإيمان
مع المسيح
معرفتنا بأننا محبوبون - محبة مدهشة
المحبة هي امتلاك
بساطة الإيمان
المحبة التي توحدنا
المحبة التي تقنعنا

المحبة التي تحررنا
البساطة والحرية

محبة بدون حدود
متحدين بمحبة الله
في نور الإيمان
يا رب ليس لي احد سواك
المحبة الموجهة
المحبة الرحومة
المحبة اللامتناهية
هو كل شيء لنا
الثقة المتواضعة
كن مطيعا
صمت الإيمان
نعلم أننا محبوبون
هدية حضور الله
في حضور الله
احترام السر
الله ينظر إلينا بمحبة
القبول الكلي
هو الذي نؤمن به
الثقة التامة
هو الذي يتحدث إلينا
سر النعمة
الحضور القريب لله
اللغة السرية لقلوبنا
قلب مصغي
شركة الإيمان والمحبة
عيون الإيمان

ذواتنا الاعمق
سر النعمة
الحضور القريب
حرية المحبة
حي مع المسيح
الخاتمة

القسم الأول

الإكتشاف

اكتشاف

الصلاة هي البحث عن الله، والمشاركة معه، والذهاب أبعد من هذه المشاركة عبر الشركة. لذلك فهي نشاط وحالة وصراحة. حالة إجلال لله والعالم المخلوق. إنها تتضح من خلال الوعي بالعالم الذي نحيا به، كونه - ببساطة - ليس باتجاهين، أي محبوس في أشكال الزمان والمكان؛ أي فالعالم ذو الأفق الذي نلتقي فيه بسطح الأشياء فقط، سطح قرمدي يغطي الفراغ.

الصلاة تولد من اكتشافنا أن العالم له أعماق، ولسنا محاطين بأشياء مرئية، ولكننا غارقون ونافذون في أشياء مخفية. ففي هذا العالم غير المرئي، يتم حضور الله السامي، والحقيقة المهيبة، وحقيقتنا الأعمق، المنظورة وغير المنظورة، حيث لا يوجد تعارض، ولا يمكن أن تصطف مثل اصطفاف مبلغ ما. انها حاضرة بشكل آني، كنار حاضرة في الحديد الحار الأحمر. إنها تكمل الواحدة الأخرى في طريق سري يصفه الكاتب الانجليزي جارلس ويليامس كتلازم ومشاركة: حضور الأبدية في الزمان، والمستقبل في الحاضر، وحضور اللحظة الحاضرة الدنيوية في الأبدية. فالماضي والحاضر والمستقبل تحل بشكل أواخري. والشخص في الآخر يشبه الشجرة في البذرة.

إن العيش في العالم المنظور، هو عيش على السطح، يتجاهل لا فقط وجود الله لكن أعماق الكيان المخلوق. إنه يشجب ذواتنا لمشاهدتها سطح العالم

فقط. ولكن إذا نظرنا بصورة أعمق فإننا نكتشف أخيراً نقطة التوازن في قلب الأشياء. حيث لا يوجد اتجاه نحو سعة هندسية، لأن محدوديته كاملة.

والعالم قادر أن يمتد وفق هذه الأشكال، ؛ لا لكي يتعمق، لان قلب الإنسان عميق. وعندما نصل إلى نبع الحياة الذي فيه، نكتشف أن النبع يتدفق رغم ذلك، إن قلب الإنسان ينفتح نحو اللامنظور. ولا نقصد بهذا العمق النفسي غير المرئي لكن العمق المطلق وغير المرئي، أي كلمة الله الخلاّقة الله نفسه. لذلك فإن الرجوع إلى ذواتنا ليس لفظاً مرادفاً للإنطوائية بل للتوغل إلى ما وراء حدود ذواتنا المحدودة.

قال القديس يوحنا كريسوستوم: ‘‘عندما تكتشف باب قلبك، فإنك تكتشف بوابة السماء’’وهذا الاكتشاف لأعماقنا يسير مع تمييز أعماق الآخرين معاً، فلكل واحد منهما لا متناهية (مطلقية) خاصة. وأنا أستخدم كلمة (لا متناهية) كي أعني العمق الذي لا يمكن أن يقاس، لا لأنه أعظم من أن تصله قياساتنا؛ لكن لأن نوعيته ليست موضوعاً للقياس إطلاقاً. إن اللانهائية هي دعوتنا لمشاركة الطبيعة الإلهية، وباكتشاف أعماقنا نكتشف الله الذي نستطيع بواسطته أن ندعو قريبنا غير المنظور- أقصد الروح القدس، المسيح، الآب. ونستطيع أيضاً أن نكتشف الله الأبدي واللامتناهي في هذا العالم. وهذه هي بداية الصلاة، أي تمييز أبعاد العالم الثلاثة في الزمن، الفضاء، المستقر واللامتغير أبداً.

علاقة ثلاثية

الصلاة هي العلاقة بين الشخص المنظور وغير المنظور، وهذا يفسر لماذا قلت أن الصلاة هي بحث، واكتشاف العالم غير المنظور في أعماقنا، والذي يعرفه الله وحده، وهو لوحده يستطيع أن يعلنه لنا. فمن خلال الصلاة، نستطيع أن نبحث ونجد الله وأنفسنا بطريقة علائقية. لذلك فإنه عندما يظهر لنا أخيراً النور الواضح، وهو ما نستطيع أن نراه من اللامرئي- واللامرئي شفاف في نور لامتناهي وأبدي إلهي - ستصبح

الصلاة حالة. أي ستبقى وضعاً، كما قلت في البداية. وبينما نبحث؛ فإن جزءاً سيعمى مع البصر المخزون جزئياً.

إن أول درجات الصلاة تأخذ شكل دهشة وسلوك ينم عن الخوف وحالة الحزن. إننا نندهش من اكتشاف أنفسنا، وهو بداية معرفة الله أيضاً، والدهشة لرؤية الانفتاح نحو الله المطلق. فنخاف ونفرح ونرتبك عندما نصل إلى حضور الله المقدس والجميل. لكننا نحزن أيضاً لأجل أنفسنا والعالم. إنه الحزن أن نكون عميان، لا نستطيع أن نحيا ملء دعوتنا حيث نسقط في شرك محدوديتنا مرة أخرى تلو أخرى. إنه الحزن لأننا نرى عالمنا بدون الله ويتأرجح بين الحياة والموت، ولا يستطيع أن يختار الحياة، أو الهروب من الموت رغم كل شيء، لذلك فإن التعجب والحزن مصدرين لصلاتنا. وكلاهما يرفعان من مستوى مشاركتنا لما في عمق العالم، والتي أعلنت لنا وبدون هذه المشاركة لأن عالمنا والقوى الفاعلة فيه غير قابلة للفهم وغالباً ما هي مريعة ونكون خائفين.

المشاركة

لذلك فالمشاركة هي مركز الصلاة، إنها صنف أساسي في الكشف لأن الكشف ذاته هو مشاركة مع الله الذي يهبنا بصيرة جديدة للعالم، إن كل شيء هو مشاركة في آيات الكتاب المقدس كما في الحياة. إنه شخصي وكوني، وفريد و مثالي. وعادة له قطبين: ولها المشاركة مع الله وفيه الخليقة، والمشاركة مع الإنسان في أعماقه المتجذرة في إرادة الله الخلاّقة الجاهدة نحو الإمتلاء عندما تكون إرادة الله الكل في الكل. لذلك فالمشاركة هي خبرة شخصية، لأن كل واحد منّا يجب أن يختبرها لأجل ذاته، لا نستطيع أن نمسكها باليد الثانية. إنها غير خاصتنا، ولكنها أيضاً ذات معنى خاص لأنها تتجه إلى ما وراء أنانا العليا المحدودة. وهذه المشاركة فريدة عند الله مثلما للآخر عندما نرى حقاً كل واحد منا كونه فريداً ولا يمكن تعويضه. إن كل مخلوق يعرف الله بطريقته الخاصة، وكل واحد منا يعرف الله بطريقته الخاصة التي لا أحد آخر سيعرفه أبداً إن لم نقله له. وبنفس

الوقت إن الطبيعة الإنسانية هي كونية، لان كل مشاركة هي نموذجية. إنها كشف للكل عن ما يعرف شخصياً بواسطة كل واحد.

مثلما من خلال قدح مظلم

علينا محاولة وتحليل هذه المشاركة بإعتناء، لأننا لا نعرف القوانين التي تتبع ذلك، ربما سنجعلها تنـزلق بعيداً. إنها دائماً مشاركة متبادلة. إنها اكتشاف دائم لا فقط للآخر، لكن لأنفسنا. إنها علاقة دائمية. وربما يكون أحسن تشبيه لها هي زجاجة الشباك، فالنور الذي يشرق من خلالها يظهر تصميمها وألوانها وجمالها ومعناها، ولكن بنفس الوقت يظهر لنا رغم ذلك النور غير المرئي. لذلك فإن الشباك والنور يكتشفان من خلال العلاقة بينهما.

إن اكتشاف الله بمجده الأبدي وبالإنسان الحزين الذي هو كلمة متجسدة هو أيضاً اكتشاف لعظمة الإنسان. عندما يكتشف الإنسان أعماقه، يذهب إلى ما وراء الحد المقدم له، ويكتشف مصيره الذي هو ليس فردياً بل شخصياً. إن مصيره يجعله اكثر من كونه مثالاً للنوع البشري، بل يجعله عضواً في الجسد السري، ويحضر الله في هذا النوع البشري كله.

طبيعة هذه المشاركة

على أي حال، فإن كل إنسان يبحث أولاً عن هذه المشاركة. هو فريد ويلزم أن يتعلم تمييز وجود الآخر. وهذا التمييز يجب أن يأخذ محله في العلاقة لا في العزلة وهذا مهم. فنحن لا نعلم شيئاً أو شخصاً إلاّ من خلال العلاقة فإذا انقطعت لا يبقى لنا شيء. ولكن هناك خطر في عدم معرفة أي شيء أو أي شخص ما خلا العلاقة مع أنفسنا. وهذا لكي نعيد مركزية الكون، وترجيع كل شيء إلى أنفسنا فإننا نعيد تكوينها ونجعلها صغيرة بقدر ما نحن عليه من بخل مع الشهوات الوضيعة الصغيرة، لذلك نبدأ بتمييز وجود الآخر. ويجب أن نبدأ بتهيئة أنفسنا لبعض المديات ولنذهب إلى ما وراء أنفسنا ونعترف بحاجات الآخر وحقوقه كي يستقل ويتحرر خارجا عنا. ويجب

علينا أن نقبل عدم امكانية الإنتقاص من الآخرين. على أي حال، مهما نفعله سنتعرف عليه جيداً، وسنكون قريبين منه، وهذا هو بحق اكبر تكافؤ للإنسان والإله بل أكثر من إنسان ولإنسان، حيث يبقى هناك السر المركزي الذي لا نستطيع حله نهائياً.

هناك مقطع بديع في سفر الرؤيا حيث يقول يوحنا إن الذين يذهبون إلى الملكوت، أعطوا حجراً أبيضاً مكتوب عليه اسم لا معرفة غير وهم الله فقط. وهذا الاسم ليس عنوانا معطى ومدعوا في هذا العالم. إن اسمنا الحقيقي والأبدي يثبتنا تماماً، ويثبت كل كياننا، إنه يعّرفنا ويفّسرنا أيضاً إنه معروف من قبل الله وحده ويعلن لنا ما هو، ولا أحد آخر يستطيع أن يعرفه لأنه يعبر عن فرادة العلاقة مع خالقنا. وكم غالباً ما تحصل العلاقة الإنسانية باتجاه محزن، لأن الشخص يريد أن يعلن نفسه رغم ما هو ممكن أو يريده الشخص الآخر كي يسبر في الأرض التي تقدس لله وحده. إنه عبث يرغب ولا يستطيع أن يمتلئ. إنه أشبه بطفل يحاول أن يجد مصدر الينبوع، الأصل الذي منه يبدأ الماء بالجريان، حيث قبلها موضع لا يوجد فيه ماء. وفي هذه الحالة من الممكن الوصول إلى الحطام لا الاكتشاف. ولكن ليس كافياً تمييز حق الآخر بالوجود، وقبول اعذاره. فيجب علينا أن نكون قادرين على أن نرى ونسمع ونحكم. وإلاّ فالمشاركة لا يمكن أن تثمر.

النظر

يتحدث المسيح عن الرؤية الواضحة التي نحتاجها كي نرى الأشياء كما هي، فإذا لم يكن الشيء خطأ بعيوننا فإننا نسقط ظلالاً على الأشياء، أو نرى بدلاً منها أشكالاً مشوهة تكونها عيوننا الفقيرة في مخيلتنا، ولكن الرؤية الواضحة ليست كافية فيجب علينا ان نختار النقطة الصحيحة. كما يجب ان نجد المسافة الصحيحة، والتي منها نستطيع ان نرى كل الأشياء. أليس هذا أمراً سياسيا عندما ننظر إلى العمل الفني كالرسم او النحت ؟ يحتاج أن يشاهد لا فقط من قرب ولكن من البعد أيضاً. هناك أحسن نقطة نتوقف عندها، والتي منها نراه كفنان اعد لهذا الامر، وحيث نستطيع أن

نرى كل شيء، لا مغموراً وسط الأجزاء. فذات الشيء هو حقيقة العلاقات الإنسانية، ويجب أن نجد المسافة الصحيحة ليس في الزمان والمكان، ولكن في الحرية الداخلية، الحرية التي هي رابطة لا مقيدة.

لقد تعودت على أن أضرب مثالاً في هذا الكتاب، ربما سيوضح هذه النقطة أحسن من المناقشة الطويلة. في كتاب جدير بالملاحظة، يكشف لنا الكاتب الإنكليزي جارلس وليم عن فتاة قتلت في حادث سقوط طائرة، ثم انبعثت من جسدها لتكتشف العالم الجديد الذي لم تره سابقاً. لقد دخلت العالم غير المرئي بعيونها، وفوراً وجدت نفسها بجانب نهر التايمس. لقد رأته سابقاً كوساخة ممتدة بجانب الماء العفن في مكان لجمع النفايات في مدينة لندن. ولأنها الآن خارجة عن جسدها، وغير متعلقة بشيء، فإنها ترى الماء العفن لأول مرة بهذا الشكل. لقد إكتشفته كحقيقة، مثل نهر عظيم ينساب من خلال مدينة عظيمة، ومياهه وسخة وعكرة، ويحمل رفض البحر للندن. لكن هذا الأمر يجب أن يكون، فهذا هو الدور المناسب له، وقد قبلته، وعندما نظرت إليه لتقبله، فقد قبلته دون انفعال أو نفور جسدي لأنها سرعان ما شعرت بالإشمئزاز بسببه، وسرعان ما قبل هو جسداً ليستحم فيه أو شفاهاً لتشرب منه. إنها ترى أعماق المياه، وأصبحت وسخة تدريجياً. وأخيراً أصبحت شفافة، وهذه الشفافية ازدادت مع العمق حيث رأت خيط المياه الأصلية، ولازال الخيط في ازدياد، والذي هو الماء العجيب الذي قدمه المسيح للمرأة السامرية.

كانت الفتاة الميتة من خلال تجسدها قادرة أن ترى الأشياء التي كانت سابقاً لها كما كانت لعمياء. ونفس الحقيقة تنطبق علينا، فإذا كنا قادرين على الإنفصال عن ذواتنا، والحصول على الحرية الداخلية التي يسميها الآباء (جمود الحس apathy)، ذلك بمعنى غياب العاطفة القوية، نستطيع أن نرى الأشياء منيرة أكثر فأكثر، وأن نرى أيضاً عظمة حضور الله في عالمنا المظلم والوسخ، ونستطيع أن نرى فعالية النعمة في كل مكان، وفي كل الأشياء.

السماع

قلت أعلاه إن النظر لا يكفي لوحده، بل يجب علينا أن نسمع أيضاً. إن السماع هو فعل انتباه سائد. ولأجل السماع، يجب علينا لا فقط أن نعير آذاننا، ولكن أيضاً محاولة فهم النفس والانتباه إلى الكلمات. يعني السماع إحناء قلوبنا بالتواضع، وقلوبنا قادرة على قبول ما يزرعه الشخص الآخر في أرضية عقلنا وقلبنا، وهذا هو المعنى الحقيقي لكلمة التواضع (Humility). فهي تأتي من أصل لاتيني (Humus) أي التربة الخصبة، حيث التربة سرعان ما تلاحظ ذلك لأننا متعودين عليها خرساء ومظلمة وقادرة على استخدام جيد للنفايات التي نلقيها عليها، وعلى تحويل رفضنا إلى غنى عبر قبول كل بذرة مانحة جسدها والحياة والنمو إلى ملئ ذاتها دون تغيير في طبيعتها. إن قدرتها الخاصة على السماع تبدأ مع الطاعة مثل الغيمة الصامتة، والأرض الخلاّقة علينا اعطاء ذواتنا للآخر.

ولكن هذا التواضع هو طاعة أيضاً فالكلمة اللاتينية Obaudire تعني الاصغاء والطاعة، فيجب علينا الإصغاء لأجل أن نسمع وننتفع مما نسمع. وهذا هو الموقف الملائم تجاه الله، أي الانتباه الكلي كي نسمعه والرغبة والعزيمة لإستلام رسالته والاستفادة بواسطتها وتلك هي ما نقول عنها بالتحول والتغير. أي التوقف عن ما نحن عليه، وأن نصبح ما ندعى إليه. إن هذا هو موقف أساسي للصلاة، وهو أشبه قليلاً بالطير اليقظ. فهو ينهض مبكراً في الصباح لأن عليه أن يصل إلى الحقول والبساتين قبل أن تنهض الطيور، لذلك لن تراه يأتي. إنه صامت ويحافظ على الهدوء دائماً. وكله عيون وآذان منفتح الذهن لكل صوت وكل حركة، يصغي ويقظ ولكنه لا يرى ما يحدث حوله إن لم يكن حراً من الحكم المسبق، حاضراً ليسمع ما يقوله الله. انه موقف الذات المستسلمة والفعالة جداً بنفس الوقت، ذات مستسلمة لأنها أشبه بالأرض (التربة العضوية) المتواضعة، تعطي ذاتها دون تحفظ، وفعالة لأنها حاظرة لتستجيب لكل مشورات الله وكل دعواته. اننا نتبعها إذا أردنا الحصول على مشاركة حقيقية مع الله. نحن بحاجة أكثر من مجرد وسيلة للسماع والرؤية. يجب أن نملك الحماس والرغبة وأن نسمع ونرى.

الطاعة والمحبة

ولهذا يجب أن نحب حتى ولو قليلاً. يشرح جارلس وليم Charles Williams في كتاب All Hallows Eve والذي أشرت إليه أعلاه، وفي صفحته الأولى عن بطلته الميتة على جسر لندن أنها لا ترى شيئاً سوى ذاتها عند النقطة التي تمس قدمها الأرض، والطائرة التي تحطمت وقتلتها. إنها لا ترى شيئاً لأن قلبها لا يمس شيئاً، إنها ترى جسراً فارغاً في وقت هو بالحقيقة مزدحم بالمارين معظم الوقت. وعلى الضفّة الأخرى ترى بيوتاً، ولكن بجدران ذات عيون معتمة وشبابيك تضيء ثم تنطفىء ولكن بدون معنى. لم يكن لديها مفتاح للعالم حولها لأنها لم تحب أي شيء أبداً، وهي غريبة هنا. الآن فجأة يسير زوجها فوق الجسر، ويرى أحدهما الآخر، لأنه يحبها يحملها في قلبه، وينتحب لأجلها ويبحث عنها في العالم غير المرئي، ولأنه الشخص الوحيد الذي أحبته في طريقها الأناني الفقير، والشخص الوحيد الذي من الممكن أن تتخيله، تراه يذهب. فتأثر قلبها، ومن خلال زوجها تتذكر عالمها وزوجها وابنائها وأصدقائها. وتدريجياً من خلال المحبة تبدأ بإكتشاف العالم الذي تحيا فيه دون معرفته، وبنفس الوقت العالم الواسع الجديد الذي دخلته لتوها، هذان العالمان يخترقان ضمن تلازم هو النظرية الفلسفية لجارلس وليم لأننا نرى ما نحب ونعتقد أننا نرى ما نكره، ولكن حقاً نرة فقط في كرهنا صوراً ممسوخة وكاريكاتورية ولاأبالية وفاترة فهي عمياء.

عين نقية للحكم

ولكن كي نعلم حقاً، وكي نرى حقاً بإسلوب ملائم، لا فقط ننظر، ونصغي أو نحب، بل يجب أيضاً أن نمتلك قلوباً نقية وقادرة على العثور على الله ما وراء الظلام الذي يخفيه. فقط مثل عيون صافية لا تستطيع محاكمة أو رؤية الأشياء بالطريقة التي يراها الله. إن قصة آباء الصحراء تبين هذا بوضوح. أحدهم يأتي مع تلاميذه إلى بوابة الأسكندرية فيرى إمرأة جميلة قادمة عبر الطريق فقام التلاميذ بتغطية وجوههم من خلال عباءاتهم كي لا يسقطوا في التجربة، ربما هربوا من تجربة الجسد، ولكن

ليس من تجربة الفضول، فمن خلال عباءاتهم يرون سيدهم ويشمئز منهم لأنهم ينظرون إلى المرأة، وبعد أن يسألهم، كيف تواجهون تجربة النظر إلى المرأة؟ فيجيب بأسى: كم كان قلبكم غير نقي، لقد رأيتموها كتجربة فقط، أما أنا فقد رأيتها كإعجوبة إلهية.

خبرة التحديق

لذلك كل مشاركة مع الله أو الإنسان تتطلب اكثر من اعتبارات تقنية. عندما نبحث عن الله يجب أن نحب جارنا وعندما نبحث عن جارنا يجب أن نحب الله. يشرح الراهب الروسي المعلم في واحدة من رسائله كيف سُأل يوما: 'لماذا يعمل العمال الذين في امرتك بجهد كبير وهم كذلك حتى لو لم تكن تراقبهم بينما الذين نراقبهم يحاولون خداعنا.' أجاب القديس:

> ' عندما آتي صباحا لأسلمهم العمل، تنتابني الشفقة لأجلهم، إنهم يتركون قريتهم وعائلاتهم لأجل اجرة بسيطة، فكم هم في فقر. وعندما اسلمهم العمل ارجع الى قلايتي وأصلي لأجلهم وأقول للرب: "يا رب، تذكر نيقولا، لإنه شاب صغير، إنه يترك طفليه الصغيرين ليجد عملا لأنه فقير جداً حيث لا مصدر إعالة آخر له. فكر به واحمه من الأفكار الشريرة. فكر به وبمساعدته."لذلك أصلي ولكن احس إن حضور الرب يزداد اكثر فأكثر، لقد وصلت الى نقطة حيث لا اشعر بأي شيء على الأرض. الأرض تحتجب، والله يبقى لوحده. ثم انسى نيقولا، وإمرأته، وقريته، وفقره، واوصلها بالله. وبتأمل عميق بالله اجد المحبة الإلهية تحوي نيقولا وزوجته وطفليه وفقره وحاجاته وهذه المحبة الإلهية هي سيل يحملني عائداً للأرض والصلاة لأجلهم. ويحصل الشيء كذلك ثانية. ويصبح حضور الله اقوى وتنحسر الأرض. أنا أحمل مرة ثانية نحو الإعماق حيث أجد العالم الذي يحبه الله كثيراً. '

المشاركة مع الله هي مشاركة مع الإنسان. هي ممكنة فقط عندما الإثنتان محبوبتان حيث عندما الواحد يصلي ينسى نفسه، ينفصل عن ذاته، ويصبح فقط 'موجهاً' نحوهم ولأجلهم. هذه هي الخاصية الأساسية للشفاعة.

أرغب الآن أن أكشف أكثر عن موضوع المشاركة. أولاً يجب أن أؤكد على أن تلك المشاركة مع الله والإنسان هي خطرة. إنها ليست بدون سبب بحيث إن تقليد الزين ZEN الشرقي يدعو المكان الذي نبحث عنه بعرين النمر. إن البحث عن الله هو فعل جسور، عدا كونه فعل تواضع كامل. وعادة إن المشاركة مع الله تجعلنا في أزمة، فالكلمة أصلها يوناني وتعني الإدراك. عادة المشاركة يمكن أن تأخذ معناها بالتعجب والتواضع. وأيضاً بالرهبة والشجب، لذلك لا يبعث على الاندهاش كون كتاب الدليل الأرثوذكسي للصلاة يعطي مجالاً قليلاً للتساؤلات عن التقنية والطريقة، ولكنه يملك مشورة لا نهائية عن حالات الصلاة السهلة أدبياً وروحياً. دعونا نستدعي بعضاً منها.

أولاً، إن الإنجيل يوصي: "إذا جئت إلى الهيكل، وتذكرت أن لأخيك عليك شيئاً، فدع قربانك، وأذهب وصالح أخاك "، إن هذه الوصية تطلبت أسلوباً ممتازاً من قبل اللاهوتي الجديد Simeon والذي يقول لنا أننا إذا أردنا أن نصلي بقلب نقي يجب أن نصنع سلامنا مع الله، ومع ضميرنا ومع جارنا وحتى مع أشيائنا الخاصة، وذلك كي نقول أن حالة حياة الصلاة هي حياة طبقاً إلى الإنجيل، حياة تجعل الوصايا تتحول إلى شورى معطى لنا بواسطة طبيعة الإنجيل الثانية. فليس كافياً الطاعة لهم (لله والضمير و...) كطاعة العبد لإرادة سيده، بل أن نرغب بالطاعة من كل قلبنا مثل الابن ومثل أطفال الملكوت الذين يريدون حقاً ما يقولونه، ليتقدس أسمك، ليأتي ملكوتك، لتكن مشيئتك.

دعونا الآن نتبصر في المشاركة مع الرب في عدد من المواضيع الخاصة، والتواضع، والحقيقة، والخفاء، والضوضاء، والحياة، والصمت، والطقوس. من المرعب الوقوع في أيدي الله الحي إذا تذكرنا إن أية مشاركة عميقة مع الإنسان هي إدراك (حكم) وأزمة (ضيقة) يجب أن

نبحث عن الله بقلب كامل وبحذر أكبر فأكبر. ولن نكون متألمين أكثر إذا لم تتم هذه المشاركة حالاً. نستطيع الإقتراب من الله بقلب مرتعش، وبهذه الطريقة نستطيع تجنب عدد من خيبات الأمل، وعدد من الجهود عديمة الفائدة، لأن الله لن يهب ذاته لنا إذا لم نحمل المشاركة. إنه يهيئنا لأجل ذلك، وأحياناً بانتظار طويل يعطي لنا الإنجيل مثالاً لموقف يجب أن نقلده.

يظهر لوقا لنا عشرة برص يبحثون عن الشفاء، ويأتون إلى المسيح، ويتوقفون عند مسافة لأنهم يعلمون أنهم نجسون. ووسط وضعهم المزري، يصرخون إلى الرب وهم مملوؤن بالإيمان والرجاء، ولكنهم لا يصلون إليه، والرب لا يتقدم نحوهم خطوة واحدة، بل يوصيهم بسهولة أن يذهبوا ويروا أنفسهم إلى الكهنة. إنه لا يعدهم بشيء، بل يرسلهم إلى الشفاء، وهذا الشفاء هو ضمان لهم في إيمانهم ورجائهم وطاعتهم المتواضعة. كم إن تواضعهم مختلف عن صلاة دخول المتواضع؛ عندما يجب أن يرتعش، ولكنه غالباً ما يتعجرف. ربما نتذكر مثال القديس بطرس الذي أدرك ألوهية سيده من خلال كلماته، وآية صيد السمك، وسقوطه عند قدميه صارخاً: أبتعد عني .... إن رؤية قداسة مجد الله لم تقوده للبحث عن ألفة فيها ولم يكن يحملها لقد سأل الرب أن يذهب بعيداً لكن الرب قرر أن يبقى.

لدينا في الإنجيل أيضاً قصة قائد المئة الذي يسأل الرب أن يشفي عبده، وعندما يقول له الرب إنه سيأتي، يعقب قائد المئة: "يارب لست مستحقاً ..."إنه إيمان كامل، وثقة تامة. وإن مثل هذا التواضع العظيم يجب أن يجعلنا نحس بالخجل لأننا لا نشعر بطبيعتنا الخاطئة بالقدر الكافي، ولا نشعر بأنفسنا فقراء إلى حد أن نسأل الرب كي لا يزعج نفسه في نفس الوقت معتقداً أنه يستطيع عمل أي شيء لأجلنا.

لكن هذا موقف أساسي، إن لم نتوقف عن البحث عن حضور ملموس مشرق للرب. يجب ان نستقبل قدوم الرب الينا بفرح وتواضع كبير اذا اتجهنا نحو ادراكنا الخاص، ولكن علينا أن نكون حريصين لا للبحث عن الخبرة النسكية عندما نبحث عن التوبة والتحول، ذلك هو بداية صراخنا إلى الله: "يا رب إجعلني ما يجب أن أكون، غيرني مهما كانت الكلفة "،

وعندما نقول هذه الكلمات الخطرة، يجب أن نهيأها ليسمعها الله، وهذه الكلمات تجاه الله هي خطرة لأن محبة الله لا ترحم، يريد الله خلاصنا بعزيمة راسخة بسبب أهميتها، والله كما يقول راعي هرماس، "لا يتركنا حتى يكسر قلوبنا وعظامنا.".

دعني أعرف نفسي

إن الشكل الثاني للمشاركة هو المشاركة في الحقيقة، وهذه المشاركة هي حقيقية فقط عندما تكون لقاء حقيقي بين شخصين، ومن وجهة النظر هذه، فبإستمرار تزوير هذه المشاركة، لا في أنفسنا فقط، ولكن في صورتنا لله، من الصعب جداً لنا أن نكون أثناء النهار أشخاصاً اجتماعيين حقاً، وأحياناً لا نميز التغير الكلي في الآخرين أو حتى في أنفسنا، وحينما يأتي وقت الصلاة ونرغب أن نهيئ أنفسنا لله، فإننا غالباً ما نشعر بالخسارة لأننا لا نعلم أي هذه الشخصيات هي شخصية إنسانية حقيقية، ولا نملك مفهوماً عن هويتنا الحقيقية.

إن العديد من الشخصيات التي نحضرها أمام لله ليست ذواتنا، فهناك شيء منا في كل واحدة منها، ولكن الشخصية الكاملة مفقودة. لذلك فإن الصلاة التي يمكن أن تخرج من قلب شخص صادق لا يمكن أن تجد طريقها بين الناس اليابسين (أشبه بقش التبن) والذين نقدمهم لله. إن كل واحد من هؤلاء يتحدث بكلمة حقيقية وبطريقته الجزئية، ولكنها لا تعبر عن بقية الشخصيات الجزئية التي نقابلها خلال النهار. من المهم جداً أننا نجد وحدتنا وهويتنا الأساسية، وإلاّ فإننا في الحقيقة لا نستطيع المشاركة مع الرب.

إنّ البحث عن هذه الوحدة ربما يستلزم وقتاً، ويجب أن نكون حاضرين كل ساعة لنرى إنّ ولا واحدة من كلماتنا وأفعالنا متنافرة مع الكمال الأساسي الذي نبحث عنه. يجب أن نحاول اكتشاف الشخصية الحقيقية التي نملكها، والشخص الخفي وجوهر الشخص المتكون، والحقيقة الداخلية التي فينا من قبل. إنّ هذا الإكتشاف صعب، لأنه يجب أن نضع إلى جانب كل الرجال الأشبه بقشة التبن أي اليابسين. ومن حين إلى آخر يظهر من خلاله شيئاً

أصيلاً عندما ننسى أنفسنا وحقيقتنا العميقة التي يمكن أن تخسر هيمنتها عندما ننقاد بعيداً من خلال الفرح وننسى من ينظر إلينا، أو نقف إلى جانب وننظر إلى أنفسنا، أو عندما نكون بلا وعي ذاتي للحظات بسبب ألم حاد و عندما يكون لدينا شعور عميق من الحزن أو الإعجاب. وفي هذه اللحظات نرى شيئاً بخصوص حقيقة ما نحن عليه من الشخصية. ولكن سرعان ما نتحول بعيداً عن ما نحن عليه لأننا لا نريد أن نواجه هذا الشخص وجهاً لوجه لاننا نخاف منه، حيث يجعلنا بعيدين. على الرغم من ذلك فإن هذا هو الشخص الحقيقي الوحيد الموجود فينا، والله يمكن أن ينقذ هذا الشخص الذي على أي حال قد يكون مكرهاً لأنه يحمل حقيقة شخصه، فلا يستطيع الله أن ينقذ شخصاً خيالياً نحاول أن نحضر من خلاله أمامه أو أمام أنفسنا مثلما نبحث عن الشخص الحقيقي فينا من خلال فرصة بيان أو تأكيد، فيجب أيضاً أن نبحث بثبات عن الشخصية التي نحياها لأجل الله، وهذا هو عمل التأمل الذي يجب أن ندعو إليه كل يوم من خلال حياتنا.

نستطيع أن نبدأ بسهولة. فعندما نقرأ آيات الكتاب المقدس بإجلال، نستطيع الاقرار أن تلك المقاطع المحددة تعني القليل بالنسبة إلينا، ونحن حاضرون للموافقة مع الله لأنه ليس لدينا سبب لعدم الموافقة معه، ونستطيع استصواب هذه الوصية أو تلك أو هذا الفعل الإلهي أو ذلك لأنه يمسنا شخصياً، إننا لا زلنا لا نرى المتطلبات التي تكوننا من الناحية الشخصية. بصراحة تردنا مقاطع أخرى، فلو كان لدينا الشجاعة لقلنا "لا "إلى الرب.

يجب أن نلاحظ هذه المقاطع بعناية، إنها مقياس المسافة بين الله وبيننا، وربما هي أيضاً أكثر أهمية تجاه وجهة نظرنا الحالية، إنها مقياس للمسافة بين أنفسنا كما نحن الآن وإمكانية ذواتنا المحدودة لأن الإنجيل ليس تعاقب للوصايا الخارجية، إنه معرض للرسوم الشخصية الداخلية، وفي كل وقت نقول "لا "للإنجيل فإننا نرفض أن نكون أشخاصاً ذوي وعي كامل بالكلمة.

هناك مقاطع من الإنجيل تشعل قلوبنا كالتي تعطي نوراً لعقلنا وتصدم إرادتنا. إنها تعطي الحياة والقوة لكياننا الجسدي والأدبي تكشف هذه

المقاطع عن النقاط التي يتطابق الرب عادة وصورته فينا، فالمرتبة التي وصلناها ربما للحظة وبطريقة خاطفة تصبح ما نحن دعينا إلى أن نكون. يجب أن نلاحظ هذه المقاطع باعتناء أكبر من المقاطع المشار إليها أعلاه. إنها النقاط حيث صورة الله حاضرة عادة فينا نحن البشر الساقطون، ومن هذه البدايات نستطيع بذل قصارى جهدنا للاستمرار في تحولنا إلى الشخص الذي نشعر أننا نريده أن نكون. يجب أن نكون أوفياء لهذه الكشفيات. في هذه يلزم على الأقل الوفاء إذا جعلنا هذه المقاطع تزداد عددياً، فإن متطلبات الإنجيل تصبح كاملة وأكثر صحة ودقة وسيختفي الضباب ببطء ونرى صورة الشخص الذي يفترض أن نكونه. حينها نستطيع البدء بالوقوف أمام الله بالحق على أي حال مثلما هذه الحقيقة الأساسية هناك أيضاً حقيقة اللحظة الجزئية.

كم إنّ صلاتنا كاذبة لأننا لا نحاول تقديم أنفسنا كما هي إلى الله، لكن كما نتخيل هو يريدنا أن نكون، أي أن نأتي إليه في يوم الأحد أحسن أو بإستعارة أحسن الثياب. من المهم أنه قبل أن نبدأ الصلاة يفترض أن نأخذ وقتاً كي نستجمع أنفسنا، ونعكس ونصبح واعين للحالة الحقيقية حيث نقدم أنفسنا إلى الرب ‘‘قلبي حاضر يا رب، قلبي حاضر ". ونستطيع القول ‘‘كما يشتاق الأيل إلى مجاري المياه، هكذا تشتاق إليك نفسي يا الله". ولكن غالباً ما نجرجر أنفسنا كي نحضر أمام الله من خلال جهد الإرادة، فنعمل واجباً صورياً فقط، ونجبر أنفسنا كي نخفي ما نعلم عن ما نحن بعمق، ولكن لا نشعر لحظتها كما إن الماء الحي يغور في الرمال الجافة. يفترض أن نقول هذا إلى الله الذي هو الحقيقة: ’يا رب أنا آت إليك بقلب جاف، ولكنني أجبر نفسي كي تقف أمامك لأنني أدين نفسي بعمق. أنا أحبك وأعبدك من عمق كياني، واليوم، يظهر على السطح هذا الكيان العميق.‘ أحياناً لا نجد أننا نحضّر أنفسنا أمام الله حتى ما بعد ديانتنا لأنفسنا بعمق، ولكن بعد خوف ناتج من عقيدة خرافية ’ فإذا لم نصلّ، ربما سيرفع الله حمايته عني.‘ يجب أن نعترف بعدم الثقة، ونقص الإيمان والرجاء هذا في محبة الله ووفائه الكامل. هناك طرق أخرى نحضر فيها أنفسنا إلى الله حيث يجب أن نصبح واعين لهذه الحالات المختلفة التي نصلي فيها. وإلاّ فإن صلاتنا لن تحوي حقيقة اللحظة. سأكون كاذباً بصورة مطلقة ومجرب آدم

الأول والذي فينا، ولن يكون ما هو ثابت وأبدى فينا حقيقة ولا يعبر عن ذو مزاج جديد.

دعني أعرفك

إن المشاركة لا تعتمد على أية حقيقة جزئية بالنسبة لنا، فالآخر هو مهم تماماً، ويجب أن يكون الله الذي نشاركه حقيقياً مثلما نبحث عنه. ولكن هل الله ليس هكذا دائماً ؟ هل هو ليس دائماً ذاته؟ لا يتغير؟ بالطبع، ولكن الله ليس كما هو في ذاته والذي نتضمنه في صلاتنا؛ إنه أيضاً الصورة التي نملكها عنه، لأن موقفنا لا يعتمد فقط على ما هو في ذاته، ولكن أيضاً على ما نؤمن أن يكون. فإذا كان لدينا صورة كاذبة عن الله، فإن موقفنا وصلاتنا نحوه ستتحول طبقاً لذلك. ومن المهم من خلال حياتنا، من يوم إلى يوم أن نتعلم معرفة الله كما هو، لا بطريقة مجزئة، أي التي تجعلنا نراه أحياناً كديّان غير عادل.

يجب أن نكون واعين فكرياً أنه حتى المجموع الكلي للمعرفة الإنسانية عن الله تتضمن صورة إبداعية لله الحي. فالله حتى كما هو يكشف عن ذاته في آيات الكتاب المقدس، فإنه لا يكشف عن ذاته بسياق كامل ونهائي. إذا حاولنا ووضعنا أنفسنا أمام أية صورة عن الله عملت من خلال كل ما نعرفه عنه عبر الكشفيات ومن خلال خبرة الكنيسة وخبرتنا، فنحن في خطر الوقوف أمام صورة مشوهة لأنها ظاهرياً تكون صورة كاملة عندما تكون تقريباً فقيراً تماماً كما يقول القديس غريغوريوس النزينزي. وهذه هي عبارة عن مثالية. لهذا فإن آباء الكنيسة يؤكدون باستمرار على حضورنا البسيط أمام الله دون تصويره أو تخيله. إن كل شيء نعرفه عن الله يجب أن يقودنا إليه، ولكن حينما نقف أمامه، يجب أن نترك كل هذه المعرفة خلفنا، والتي ربما تكون صحيحة وغنية، ويجب أن نقف أمام إله غير معروف وسر ونور خفي الهي، ويجب أن نكون مهيئين لملاقاة الله كما يريد أن يكشف عن نفسه لنا اليوم، وإلا سيكون الله دائماً كما هو الأمس، وليس الله الحقيقي ذاته، ولكن الله الحقيقي هو موضوع بحثنا، وشريك موثوق به في الصلاة. وهذه المشاركة في الحقيقة لا يمكن أن

تحدث برفقة حضور مصطنع، لأنه في مشاركتنا لا نبحث عن إحساس مفرح، وعن نشوة ...إلخ بل عن الله ذاته.

غياب الله

وفي سياق الحقيقة هذا يجب أن نميز حقيقة إن الله ربما هو غائب. إن هذا الغياب هو طبعاً فاعلي، وسيكون دائماً حاضر بالنسبة لنا، ولكنه ربما سيبقى غير مرئي وغير ملموس. إنه يهرب منا.

وما قلناه أعلاه بخصوص التواضع يجب أن يساعدنا هنا، عندما لا يهب الله ذاته لنا، وعندما لا نستطيع أن نشعر بحضوره، يجب أن نكون قادرين على الإنتظار برهبة ووقار، ولكن يوجد أيضاً عنصر آخر في هذا الغياب الفعال لله، علاقة يمكن أن تكون حقيقية إذا تمّت بحرية متبادلة. ونحن أيضاً غالباً ما نشعر بأنه لأجل أن نبدأ بالصلاة لله فإنه يكون ملزماً أن يهب ذاته لنا، وأن يصغي إلينا، وأن يدعنا نشعر بحضوره، وأن يؤكد لنا أنه يسمعنا. فإن كانت هذه كذلك، لن تكون علاقة حرّة، ربما ميكانيكية وغير مفرحة وتلقائية. إنها تفترض إننا دائماً في حالة ثابتة كي نرى الله. يقول لنا الفونس دي شاتوبريان في كتابه عن الصلاة المسمّى La Reponse du Seyn: إن غياب الله الظاهري سببه عادة عمانا، وأريد أن أوضح هذه العبارة بمثال: جاء رجل ليزورني في أحد الأيام، وهو يبحث عن الله منذ عدة سنوات، فقال لي وعيونه دامعة: أبتاه لا أستطيع العيش بدون الله، أرني الله. فقلت له أنني لست قادراً على أن أريه الله، ولكن لا أعتقد أنه كان بحالة تؤهله كي يراه على أية حال، فاستغرب وقال لي لماذا، حينها سألته سؤالاً عادة ما أسأله لأولئك الذين يأتون ليروونني: "هل هناك مقطع في الكتاب المقدس يأخذك مباشرة إلى قلبك، أي أغلب المقاطع وجدتها نفيسة؟، فأجاب بنعم مثل قصة المرأة الزانية في إنجيل يوحنا الفصل الثامن، فسألته:

> أين ترى نفسك في هذا المشهد؟ هل أنت المرأة التي تصبح واعية بخطيئتها وتقف لتحاكم، عارفاً ان تلك ستكون دينونة للحياة أو للموت؟ أم تحدد ذلك مع المسيح الذي يفهم كل شيء

وسيغفر لها، لذلك تستطيع العيش بحياة جديدة من الآن فصاعداً؟ هل تنتظر الجواب وترجو أن يكون رحوماً كما يجب أن يكون الرسل؟ هل أنت واحد من الجمع؟ واحد من الرجال الشيوخ الذين عرفوا أنها كشفت عن طبيعتهم الخاطئة وكانوا أول من إنسحبوا، أم واحد من الرجال الصغار الذين أدركوا تدريجياً أنهم كانوا خطاة إلى درجة رجموا بالحجارة التي حملوها كي يرجموا بها؟ فأنت مَن مِن هؤلاء في هذا المشهد الدراماتيكي؟'

وقد أجاب الرجل بعد دقائق من التأمل ' أنا يهودي فقط لم يقدر أن ينسحب دون أن يرجم المرأة بالحجر'، لذلك قلت ' لقد أجبت نفسك، لا تستطيع أن ترى الله الذي هو غريب كلياً عنك'.

ألا يوجد شيء مماثل في خبراتنا؟ ألا يوجد فينا مقاومة ونكران لله؟ عندما أبحث عنه ألا أبحث عن الله في مخيلتي الخاصة، الله ملائم لي؟ ألا نتهيأ لرفض الإله الحق إذا وجدناه؟ هل تهيأنا لنجد الله كما هو؟ وحتى إذا كانت هذه المشاركة ستديننا وستزعزع كل القيم التي هي عزيزة علينا حتى الآن؛ أليس غياب الله في حياتنا وفي صلواتنا غالباً بسبب حقيقة كوننا غرباء عنه، وإننا لا نأتي وجهاً لوجه معه ولن نراه، أو نتعرف عليه؟ أليس هذا ما حصل عندما كان المسيح على طرق اليهودية والجليل؟. كيف التقى به العديد من أولئك الذين عاصروه واجتازوا من أمامه، بدون أن يتعرفوا عليه، أو حتى أن يتوقعوا أنه كان هناك شيئاً خاصاً بخصوصه؟. ألم يكن هذا الطريق الذي كان مرئياً من قبل الجموع على طريق الجلجلة؟. رجل مجرم، أتهم بإنتهاك القانون الخاص بالسلام، ولا شيء آخر.

أليست هذه غالباً الطريقة التي نفكر بها بالله، حتى عندما نكون قادرين على الشعور بشيء من هذا الحضور؟ ألا نتحول عنه لأننا نعي إنه سيسبب فجوة في سلام حياتنا، ويزعزع قيمنا؟. لا نستطيع في هذه الحالة الاعتماد على مشاركته في صلاتنا. وأنا أشدّد أكثر، إذ يفترض أن نشكر الله من كل قلوبنا لأنه لا يهب ذاته لنا في هذه اللحظة، لأننا نشّك فيه لا كأيوب، ولكن

مثل اللص السيئ على الصليب. إن أية مشاركة يمكن أن تكون حكماً ودينونة علينا، فيستلزم أن نتعلم فهم هذا الغياب، وندين أنفسنا لأننا لا ندان من قبل الله.

يمكن أن تتوضح صورة أخرى لغياب الله من خلال قصة أخرى. قبل سنوات قليلة كتبت لي امرأة مصابة بمرض لا يمكن علاجه: ' كم أنا ممتنّة إلى الله بسبب مرضي، ففي وقت إن جسدي ضعيف، أشعر أنه أصبح شفافاً أكثر فأكثر نحو عمل الله.' فأجبتها، ' شكراً لله لما قد أعطاه إياك، لكن لا تتوقعي هذه الحالة إلى النهاية، فالوقت سيأتي عندما هذا الضعف الطبيعي لا يجعلك تشعرين بروحية أكبر، ثم يجب عليك أن تعتمدي على النعمة لوحدها.'. وقد كتبت لي مرة ثانية بعد مرور عدة أشهر: ' لقد أصبحت ضعيفة إلى حد أنني لا أملك القوّة لألقي بنفسي على الله. وكل ما أفعله هو أن أحافظ على الصمت، فأسلّم نفسي إلى الرجاء بأن الله سيأتي إليّ.'. وأضافت نقطة هي قصّتنا: 'أصلي إلى الرب كي يمنحني الشجاعة كي لا أحاول الوثوق بالحضور الكاذب، وامتلئ بالفزع الكاذب بسبب غيابه.' أعتقد إن هاتين القصتين ليستا بحاجة إلى تعليق، فمن المهم أن نعتمد على الله، ويجب أن لا نعتمد على قوتنا الشخصية، ولا على ضعفنا. إن أية مشاركة مع الله هي فعل حر حيث يكون الله ضمن (السيطرة)، وهو (العقل) الوحيد عندما نكون متواضعين كما في البداية كي نحبه، حيث نكون قادرين على تحمل غيابه، وأغنياء حتى من خلال غيابه.

برطيماوس

إن الرجاء اليائس هو أيضاً واحد من الطرق التي بها تستطيع مشاركة الله، ولدينا أمثلة عديدة في الأناجيل وحياة القديسين. ففي إنجيل مرقس الفصل العاشر، جلس متسول عند بوابة أريحا، وقصته تشرح شفائه بحقائق شفافة محددة لفهم الصلاة، فغالباً ما نندهش من كون صلاتنا لا تسمع، فنعتقد أنه علينا تقديم صلاة إلى الله ليلتزم بالجواب، وبالحقيقة إذا امتحنا دوافعنا وحاجاتنا للصلاة وبصرامة، فإننا نرى غالباً ما لا نصلي لما هو ضروري لنا، ولكن لما هو زائد عن اللزوم. إنّ السهولة التي بها نهمل صلاتنا عندما

لا نسمع، تبرهن أنه حتى عندما نصلي لأجل شيء لا داعي لأن نكون قادرين على عيشه، ولا يكون لنا الصبر ولا المثابرة للإصرار عليه. وأخيراً نفضل العيش دون هذه السهولة، وبالحري من ذلك نقاتل بيأس لأجلها.

يقول لنا أب من آباء الكنيسة، إن الصلاة أشبه بسهم، يخرق المقاومة، لكنه يطير بشرط كونه يطلق من قوس جيد وبواسطة يد قوية. إنه فقط إطلاق نحو مركز الهدف إذا كانت كفّ النبال مهيئة ودقيقة، وما تنقصها الصلاة غالباً هو قوة الروح، أي الوعي بجدية وضعنا.

برطيماوس ضرير، ولا نعلم إن كانت عيونه تسير ببطء نحو القتامة، والعالم المألوف والعزيز تلاشى من بصره قليلاً فقليلاً، أو إحتمال هو ولد ضريراً. ولكن ما نراه بوضوح هو رجل ناضج جالس على قارعة طريق مغبر يستعطي، وكم مرة في حياته، ربما 30 سنة حاول أن يعيد بصره؟ وكم مرّة راجع الأطباء والكهنة والمعالجين، وطلب الصلاة لأجله، والمساعدة من كائن من كان من الناس؟ وكم توجب عليه أن يمتلك الرجاء، ومع الرجاء الذي يعتمد على الرجال، والعقل والخبرة، ولكن أيضاً على الإيمان بالرحمة والغفران في الصلاح وجيرة الناس؟ وكم توجب على هذا الرجاء أن يتدفق حتى ولو قليلاً. والآن نجده على قارعة الطريق عند بوابة المدينة مهزوماً من الحياة، وسرعان ما يبحث عن تعويضاً لبصره، وهو يحاول غالباً التشبث بالحياة من خلال محبة الأشخاص المارين، لا المحبة المشتعلة الحنونة، ولكن المحبة الباردة التي توهب بدون شفقة، وبدون حتى النظر إليه. فالمار هو أعمى مثل الجالس على قارعة الطريق، وربما عماه أعظم لأنه عمى القلب والضمير، وهو لا يملك أية حصة في مفهوم الأخوة الإنسانية. ولكن هذه القصة جرت أحداثها أيام المسيح. ويجب على هذا الأعمى المستعطي أن يرى هذا المعلم الذي ظهر أولاً في الجليل، واليوم يتجول في اليهودية وكل الأرض المقدسة، يعمل الآيات، رجل سيشفي الأعمى، ويهب البصر لرجل ولد أعمى.

كيف إنّ هذا البعد عن حضور الله الشافي يجب أن يحي إيمانه ورجاؤه، وأيضاً يأسه؛ الرجاء لأن لا شيء ممكن لله، ويأس لأنه لا شيء ممكن للرجل. إن كان الله قد جاء إليه، فإنه يستطيع نيل الشفاء.

ولكن كيف استطاع وهو الذي كان أعمى أن يجد هذا الشخص الذي يتنقل بسرعة في الجليل واليهودية، ويعمل الآيات، حيث يظهر غالباً كي يختفي بنفس الوقت؟. بهذه الطريقة التي يتقرب بها الله، فإنه يوقظ الرجاء الأخير وحتى أعمق يأس حقاً لا فقط برطيماوس، إنه أيضاً وضعنا. إن حضور الله يشبه السيف الذي يفصل النور عن الظلام، لأن حضوره يخطفنا. لأن الله هناك، فالحياة الأبدية ممكنة ذلك لأنها بحاجة ملحة لرفض العيش بخمول في حياة زائلة.

في أحد الأيام كان برطيماوس جالساً على حافة الطريق يسمع جماعة من الناس تمر بجانبه، فميّز بإذنه شيئاً خاصاً في ذلك المسير، وأحاديثهم. إنه ليس جمعاً ضوضائياً أو صوت أفراد قافلة، فلهذه الجماعة مركز. إنه يسأل الناس الذين يجتازونه، من هو؟ فيجاوبون، يسوع الناصري. وفي لحظة يصل رجاؤه ويأسه إلى الذروة. فهو في أعمق ظلام حيث يشرق النور. وربما سيشفى لأن الله يتحرك من خلاله، ولكنه يجب أن يقبض على لحظة الحركة التي قد تمر متلألئة، ويسوع فقط سيكون ضمن مداه بعد عدد من الخطوات. ومسبقاً سيكون بعيداً مستغرقاً في الحديث مع الآخرين. وبعدئذ سيجتازه، ويصبح خلفه إلى الأبد، فيصرخ برطيماوس رغم حالته الميؤوس منها: ‘‘يا يسوع أبن داود ارحمني."، وهذه بحد ذاتها برهنة للإيمان، والرجل الأعمى يجب أن يكون قد فكر بذلك في الأشهر الماضية عندما سمع كل قصص الشفاءات المعمولة من قبل الرب، فبالنسبة إليه، ليس يسوع النبي المتجول، إنه ابن داود، لذلك دعاه، وترجاه، ولكن كل الأصوات التي من حوله ارتفعت لتأمره بالمحافظة على الصمت، كيف يجرؤ على مقاطعة حديث المعلم مع تلاميذه؟ وكيف يجرؤ على التماس أمراً غير مهم من المعلم الذي يتحدث حول أمور متعلقة بالسماء؟ لكنه يعلم أن كل حياته، وكل فرح وقنوط حياته هي في عماه وإمكانية شفائه، لذلك يصرخ. ولكا أزدادوا محاولة لإسكاته،

فإن صراخه يزداد، ولأنه يصلي بإلحاح لأجل الشيء النشط المهم بالنسبة له. إنه رأى الرب ينظر إليه، الرب يشفيه، ويفتح له حياة جديدة.

إن هذا درس صعب جداً لنا، فكم جدية يجب أن نكون بها بخصوص الصلاة إذا أردنا لصلاتنا أن تكون غنية بعظمة نصيبنا يسوع الذي بكل تواضع يرغب في رؤيتنا. إن حالة القنوط، والجوع إلى الله ضرورة حيوية لما نسأل، وهذه هي الحالات التي تكوّن أجنحة صلاتنا كي تطير نحو هدفها، موجهة من خلال ذراع مستقيمة كلياً وبيد قوية وعيون مهيأة.

هناك شيء خاص من هذه القصة أريد أن أتناوله بإسهاب أكثر، إنه الضوضاء المحيطة بهذه الصلاة في ذات الوقت الذي تصل إلى الرب، لأن هذه المشاركة بين الرب وبرطيماوس تتم وسط ضوضائين: الضوضاء الداخلية بسبب مشاعر الصراع الخاصّة برجائه ويأسه وخوفه،وهيجانه؛ والضوضاء الحاصلة حوله حيث كل الأصوات تأمره كي يصمت لأنّ الرب كان مشغولاً بأمور ذات قيمة أكبر من الاهتمام به وبشفائه. إنّ برطيماوس ليس الوحيد الذي يشارك الرب في الضوضاء، فإن كل حياتنا هي في ضوضاء دائمة. إنّه تعاقب حالات ملحة لحضورنا ومشاعرنا وأفكارنا، والقلب سيكون في إنسجام أو معارضة ...إلخ. وفي هذه الضوضاء تتحول نفوسنا إلى الرب وتصرخ إليه وتبحث عن الراحة فيه. فكم نفكر غالباً أنه يجب أن تكون الصلاة سهلة إذا لم يكن هناك شيء يمنعنا، وكم غالباً ما تساعدنا الضوضاء كي نصلي.

الصلاة وسط الضوضاء

ولكن كيف نستطيع أن نصلي في حالة الاضطراب؟ أريد أن أعطي أمثلة لأبين إن هذا ممكن. إنني غالباً ما أدعو هذا الاضطراب نافع، لأنه أشبه بصخور غير مستوية تساعدنا على صعود الجبل حينما لا نستطيع أن نطير.
القصة الأولى اقتبست من حياة آباء الكنيسة. حيث يلتقي ناسك مجهول بناسك آخر هو رجل صلاة وذلك في أحد الجبال، إنهم يبدؤون الحوار من

نقطة كون الزائر مولع بصلاة، فيسأل صاحبه: ' أبتاه، من علمّك أن تصلي دون توقف؟ '، فيجيب مضيفه الذي يدرك أن صاحبه هو رجل ذو خبرة روحية: ' أريد أن أقول هذا لكل شخص، ولكن سأقول لك حقاً: تلك كانت الشياطين.' يقول الزائر: ' أعتقد أنني فهمتك أبتاه، ولكن أتستطيع شرح ذلك بتفصيل أكبر، كيف كلموك حيث لم أفهمك' فيخبر له الآخر هذه القصة:

' عندما كنت صغيراً، كنت أمياً، وعشت في قرية صغيرة في السهل. وفي أحد الأيام ذهبت إلى الكنيسة، وسمعت الشماس يقرأ في رسالة القديس بولس التي تحثنا على الصلاة دون توقف، وعندما سمعت هذه الكلمات، ازددت حيوية، وفرحت، واستنرت. وفي نهاية الخدمة تركت القرية بفرح عظيم، وتقاعدت في الجبال كي أعيش، ثم فشلت في الليل بسبب البرد، حيث بدأت أسمع أصوات غريبة، ووقع أقدام، وعويل، وظهرت عيون وامضة. وكانت تأتي حيوانات وحشية خارجة من أوكارها تفتش عن الطعام الذي كان قد وعدهم به الله،فخفت أكثر فأكثر كلما صار الظل مظلماً، فأمضيت كل الليل في رعب وقع الأقدام، وأصوات الطقطقات والظلال والعيون الساطعة، وإن الوعي بضعفي علمني أنه لا مجال للبحث عن نجدة، حينها بدأت بالصراخ إلى الله بالكلمات التي خطرت إلى فكري، الكلمات التي تولدت من خوفي: "يا يسوع، ابن داود، أرحمني، أنا الخاطئ ". وهكذا أجتزت الليلة الأولى. وفي الصباح أختفت مخاوفي، ولكنني بدأت أحس بالجوع. فنظرت إلى غذائي في الشجيرة والحقول وكان من الصعب إرضاء جوعي، وحينما كانت تغرب الشمس، حيث شعرت بالرعب من رجوع الليل، بدأت أصرخ إلى الله بخوفي ورجائي. وهكذا مرّت الأيام ثم الأشهر. وأصبحت أتعود على رعب الطبيعة. ولكن حتى عندما كنت أصلي من لحظة إلى أخرى، كانت تظهر لي تجارب واختبارات الشياطين، فبدأت الآلام تصارعني من كل جهة، وإذ بدأت وحوش الليل تكف عن

إخافتي، فإن قوى الظلام هاجت ضدي فصرخت أكثر قائلاً: ‘‘ربي، يسوع المسيح، إرحمني". لقد رافقني هذا الصراع لسنوات. وفي أحد الأيام وصلت معاناتي إلى حدودها، فصرخت إلى الله في وقت كان وجعي وحزني الأليم مستمر، فلم أصل إلى جواب. لقد ظهر الله لي متصلباً، وحينها عندما تمزّق في نفسي نسيج الرجاء، أستسلمت نفسي إلى الرب قائلاً: ’ أنت الصمت، إنك لا تهتم بما يحدث لي، ولكنك لا زلت إلهي وسيدي، وسأموت هنا حيث أقف، وبالأحرى سأتخلّى عن ضيفي.‘

فظهر الرب لي فجأة، وغمرني السلام مع كل شيء حولي. لقد بدا كل العالم لي في ظلام. والآن أنا أراه يستحم بنور إلهي ن يشرق بنعمة حضور الله التي تساند كل الذي خلقه. ثم في تدفق المحبة والامتنان، صرخت إلى الرب بصلاة عبرت عن كل ما كان فيّ: ’ ربي يسوع المسيح، أرحمني، أنا الخاطئ.‘. ومنذ تلك اللحظة، بفرح، بألم، بتجربة وصراع، أو بلحظة عندما يأتي السلام إليّ، فإن هذه الكلمات تنبثق من قلبي. إنها أغنية الفرح، وصراخ إلى الله وصلاة وهي توبتي أيضاً.‘

هذا مثال لحالة نسكية غير معروفة تبين كيف إن الألم، واليأس، والضوضاء تجلب هذه الكلمات الخارجة عنّا. وهذه الحاجة إلى الصراخ، ولدت من رجاء هو أقوى من اليأس ذاته، حيث تغذى من اليأس وتساميه.

سكون العاصفة

غالباً ما نكون في اضطراب، ربما أقل من اضطراب الناسك الصغير، ولكننا نستسلم له وندحر. وذلك هو سبب كون صلاتنا مرتعشة ومتأرجحة، صلاة مضطربة، وغير أكيدة ومفككة. أليست هذه قصة العاصفة على بحيرة الجليل؟. لقد كان الرب وتلاميذه في البحيرة. فهبّت عليهم عاصفة عندما كانوا خارج البحر، فهددهم الموت. لقد كانت الأمواج هائلة، والرياح

تهب بالضد مما يبغون، إنهم يقاتلون لأجل حياتهم بأقصى ما كانوا يستطيعون. وكل هذا تمّ بينما الرب نائم على مخدة في مقدمة السفينة. إنه ينظر إليهم بإرتياح. إنهم لا يتحملون بإرتياح نظره إليهم. ووسط حالتهم السيئة التفتوا إليه، وأيقضوه،وحاولوا أن يضغطوا عليه كي يدرك ما يحدث: ' يا رب، ألا ترى ...؟' ولكن ماذا يفعلون بإطلاقهم هذا السؤال؟ هل يلتمسون منه أن يسيطر على العاصفة؟ نعم أو لا. أولاً وقبل كل شيء، إنهم يريدونه أن يشاركهم معاناتهم، أن يكون قلقاً مثلما هم. إنهم يعتقدون أنه لن يساعدهم ما لم يشاركهم قلقهم.

فينهض الرب، ويرفض أن يشاركهم الهلع، إنه يحافظ على هدوئه الخاص، أولاً يلتفت إليهم ويقول: ' إلى متى يجب أن أبقى معكم، يا رجال قليلي الإيمان؟ '. ثم يلتفت نحو العاصفة، ويطبع هدوئه عليها، إنه يأمر الأمواج كي تسكن، والرياح كي تصمت، وأن يأتي سلامه الخاص على كل شيء من حوله. وحيث العاصفة ساكنة، سقط التلاميذ عند قدميه، وقالوا: من هو؟. إنهم ساكنون بارتياب.

نحن غالباً ما نرتكب نفس الخطأ. فبدلاً من البحث عن المشاركة مع هدوء الله، نسأل الله كي يشاركنا ضوضاؤنا. وطبعاً هو لا يشارك في ذلك، ولكن يشارك بهدوئه الخاص.

إن هذه الضوضاء والفوضى وعدم الإنسجام والنشاز، غالباً ما تدخل حياتنا، فينا وحولنا. إنها تتم بسبب الأحداث التي لا نفهمها والأفعال الإنسانية المؤلمة. وهذه هي المشكلة الأساسية. أي الربط بين ضوضاء الحياة وصلاتنا، الاضطراب والهدوء. فيجب أن ندرك مسبقاً إن كل مجابهة بين سلامنا الداخلي وهرج ومرج الحياة، فالنصر يكون للضوضاء، لأن صلاتنا ضعيفة والحياة قاسية. الحياة حينما نصلي، هي قاسية لا تعرف الرحمة وسلامنا وهدوءنا الداخلي هو هشّ. فإذا أردنا المحافظة عليه، وتحقيق النصر في الحياة فإن هذا يجب أن لا يكون من خلال فتح المواجهة، ولكن مثلما تروي الماء الأرض. قال الآباء إن الماء هي صورة للتواضع، إنها تذهب إلى الأعماق، وهذا حقاً صحيح، علماً إن

الماء غير مرئي، ولكن من خلال ثقلها تصل إلى الأعماق. إنها تبدأ بالإرتفاع، ولا شيء يستطيع إيقافها، وهذا ما يجب أن تكون عليه صلاتنا.

الصلاة الثابتة

من الصعب أن نصلي كل النهار، حيث نحاول أحياناً ونتخيل ما يجب أن يكون عليه، فنفكر أما بالحياة الطقسية (الليترجية) للرهبان التأمليين، أو حياة الصلاة المستقرة. لا نفكر غالباً بحياة صلاة تحتل مكانها في الحياة الطبيعية، عندما يصبح كل شيء صلاة أو مناسبة للصلاة. ولكن هذا هو طريق سهل للصلاة، ورغم أنه طبعاً ملحاح جداً. دعونا ننهض في الصباح، ونقدم ذواتنا إلى الله، حيث إننا غالباً ما ننهض من النوم الذي يفصلنا عن الأمس. إن النهوض يعطينا حقيقة جديدة، يوم لم يكن موجوداً بالأمس، وقت مجهول وفضاء ينتشر أمامنا مثل حقل ثلجي لم تدوسه الأقدام. دعونا نطلب من الرب أن يبارك هذا النهار ويباركنا فيه. وعندما نفعل هكذا، دعونا نأخذ طلبنا بجدية، وكذلك الجواب الصامت المعطى لنا. نحن مباركون من قبل الله، وبركته ستكون معنا دائماً في كل عمل يتسع لإستقبال هذه البركة، وإننا سنخسره عندما نتحول بعيداً عن الله، فالله رغم ذلك سيبقى قريباً منّا، حاضر ليأتي لمساعدتنا، ولإعطائنا النعمة التي رفضناها سابقاً. نحن نضع درع الله، مثلما يقول القديس بولس في الفصل السادس من الرسالة إلى الأفسسيين، الإيمان والرجاء والمحبة هي درعنا وصراخنا إلى الله. فنبدأ هذا النهار بالنعمة والمجد مع صليب الرب وموته لأجلنا.

ولكن اليوم بحد ذاته هو أيضاً مبارك من قبل الله. وهذا ألا يعني إن كل شيء يُضمن، وكل شيء يحدث لنا خلال ذلك هو مع إرادة الله؟. إن الإيمان بأن الأشياء تحدث من خلال الحظ فقط هو عدم إيمان بالله، وإذا قبلنا كل شيء يحدث، وكل من يأتي إلينا بهذه الروحية، فإننا سنرى أننا مدعوون إلى عمل ما عمله المسيحيون في كل شيء. إن كل مشاركة هي مشاركة بالله، وببصيرته. إننا مرسلون إلى كل شخص نلتقيه في طريقنا، أما لنعطي أو لنأخذ، وأحياناً بدون حتى معرفة ذلك، حيث نختبر العجب من عطاء ما

لا نملكه، وأحياناً علينا أن ندفع بدمنا الخاص لما نعطيه، ويجب أيضاً أن نعلم كيف نأخذ، ويجب أن نكون قادرين لمشاركة قريبنا في الطريق الذي نحاول فيه أن نقف عند بداية المحاولة. يجب أن نكون قادرين على النظر إليه ونسمعه ونحافظ على الصمت والإنتباه، وقادرين على المحبة والاستجابة من كل القلب لما هو معطى، فيما إذا كان مراً أو مرحاً، محزناً أو جميلاً. ويفترض أن نكون منفتحين كلياً، وأشبه (بمعجون تثبيت الزجاج في الاطار) في أيدي الله، لذلك فإن الأشياء التي تحصل في حياتنا، القابلة لعطايا الله، تعطينا الفرصة لأن نكون خلاّقين باستمرار، وفاعلين لعمل المسيحي.

للمسيحيين عادة وهي أنه في كل مشكلة وخطر يقفون بإتجاه الرب ويصرخون: ' ربنا أحمنا، أنقذنا، قاتل لأجلنا ' فكم غالباً ما الرب يجب أن ينظر إلينا بحزن ويقول لنا بلغة الصمت ما يجب أن نفهمه إن كانت قلوبنا لم تصم من خلال الخوف. ' ولكنني أرسلتك إلى هذا الموضع كي تقاتل لأجلي، ألست جزءاً من الجيش، طلائع في الملكوت التي أرسلتهم لتقاتل لأجلي على الأرض؟ ألم أقل لرسلي، "كما أرسلني الآب، كذلك أرسلكم كي تحيوا وتموتوا؟"هل نسيتم الأمثلة وإستشارات الرسل؟'

إنه لأجلنا المسيح حاضر في الأرض، أحياناً منتصراً، وأحياناً مصلوباً. يجب أن نهب أنفسنا دائماً، ولا نهرب بعيداً. إن كل شيء ممكن لنا بقوة المسيح، ولكن لأجلنا أن نسفك دمائنا، الآن من أجل ذواتنا هو أن نصارع ونعرق. إنه ليس لأجله نسقط ونذهب من خلال كل ذلك مرة أخرى. أليس هذا معنى الحوار بين المسيح وبطرس الذي إلتقاه عند بوابات روما محاولاً الهرب من الإضطهاد: ' إلى أين أنت ذاهب يا رب؟ Quovadis Domine?' 'أنا ذاهب إلى روما لأصلب مرة أخرى'.

إنّ مهمتنا هي أن نكون حاضرين، لا أن نكون آمنين ومعافين. في هذا اليوم نحن متعهدون باسم الله، وسيكون لنا العديد من الفرص لنتساءل عن معنى الأشياء المتلاحقة الحدوث. يجب أن نكون قادرين على البقاء هادئين وتأمليين، ننتظر بهدوء خطة الله الكاملة. إنّ خطئنا هو تقريباً افتراضنا أن

الحكمة الإنسانية والصلاة معاً (الشكوى والأنين) ستكون كافية تجاه مسألة حياتنا الأبدية. بالنسبة لكل شيء، حتى أغلب التفاصيل التي لا معنى لها، هي جزء من نصيبنا الأبدي، ومستقبل العالم هذا الذي ننتمي إليه. يجب على الحكمة الإنسانية أن تمنح الطريق لتتسع لهدف السر الذي يواجهنا مستقبلاً كي تحاول وتميز يد الله غير المرئية، الله الذي حكمته هي أيضاً في القلب الإنساني. علينا محاولة فهم فترة الصمت التي تجعلنا متوازنين وسط ضوضاء الحياة. ويجب أن نتعلم الإنتظار حتى نفهم.

تقارن كاتبة إنكليزية الكمال المسيحي مع كلب حراسة الخراف فتقول أيفلين Evelyn Underhill (1875-1941): إنّ كلب حراسة الخراف يظل ساكناً حينما يسمع صوت سيده، ينظر إلى سيده ويصغي إلى صوته كي يحاول ويجد ما يريد منه، فخلال لحظة يفهم أنه يستعجل كي يعمل ما يريد منه سيده. وتضيف أيفلين: إنّ الكلب له رباطة جأش تبدو لنا عندما لا يتوقف أبداً عن تحريك ذنبه.

يجب في حياتنا مع كل ضوضائها وفوضاها الظاهرة، أن نحاول ونميّز خطة الله من خلال الصلاة اليقظة، والتأمل الصامت. ويجب أن نكون قادرين كي نجد الشجاعة، والقوة والإلهام والنصح الذي نحتاجه في صلاتنا. ولكن هذا وضع نظري لا نستطيع أن نغامر به فوراً، لأننا لا زلنا لم نتعود على الصلاة بدون توقف لأننا واعون دائماً لأنفسنا والحياة السائرة والمتعلقة بنا. ويجب أن نحاول أن نفعل هذا تدريجياً بادئين بساعات قليلة أو أقل، لأننا إذا ضغطنا على أنفسنا بإجهاد كبير، ولوقت طويل كي نوجه الانتباه في هذا الطريق، سنجد أنها وراء قوتنا، وسننهار لا بسبب كون النعمة ستفشلنا، ولكن بسبب ضعفنا البشري. ثم سنصاب بالاشمئزاز من الصلاة، وفقدان الصبر. إن أغلب الكلمات الحيوية (الجوهرية) ستكون أشبه بالرماد في أفواهنا، ولن نشعر أننا نعيش اليوم في ولأجل الله. وفي هذه اللحظات يجب أن نقبل الهزيمة بتواضع، وندرك أننا لا زلنا غير أقوياء إلى درجة العيش بثبات في حضور الله. ثم يجب أن نصوم روحياً، ونحدد إنبثاق الصلاة، خصوصاً الصلاة بكلمات نعرف أننا إذا حاولنا وعشنا خلال اليوم الذي فيه نثني على الله في الصباح. هذه هي حالة

الصلاة بحد ذاتها، ثم تدريجياً ومثلما تصبح إرادتنا متدربة، ويتحسن تركيز قلوبنا وفكرنا، سنكون قادرين على استنفاذ كل اليوم في الصلاة. هذه الصلاة لن تكون صلاة الحياة اليومية فحسب والتي لا يمكن تغييرها، ولكن صلاة أعمق وأكثر يقضة من كل ما سنتكلم عنه مرة أخرى.

دور النسك

إنّ كل ما قلناه قبل قليل سيجلبنا إلى مشكلة صعبة الحل للمبتدئين، وهي مشكلة الصلاة المجهدة والنسكية. من السهل الصلاة عند التعجب أو عند الألم، ومن الصعوبة أكثر الصلاة في الأيام الرتيبة العادية عندما لا يوجد فينا من يساعدنا على الصلاة. حينها يجب ان نكون قادرين على الضغط على انفسنا، لماذا؟ لأن حياة الصلاة لا يجب أن تكون شفهية فقط، ولكنها أيضاً عقيدة شركة غير متغيرة. هذه هي حقيقة كل مشاعرنا، مثلما هي مشاعرنا حول الصلاة. ألا توجد هناك لحظات عندما نشعر بالتعب ؟ وعندما نسأل بخصوص مودة أولئك العزيزين علينا. يفترض علينا أن نقول إننا كنا غير قادرين على الشعور بذلك في اللحظة، ولكن كنا تماماً متأكدين أننا كنا مؤثرين بقوة عليهم، ولكن تعبنا يسيطر على مشاعرنا. نستطيع أن نكون تلقائيين، ولكن أحياناً نكون تعبين إلى حد نشعر أننا لا نستطيع الشعور، حينها يكمن تأثيرنا في الإرادة. لكن الإرادة مع العقيدة الراسخة هي ذراع أساسي في حياتنا، فإذا ضغطنا على أنفسنا لأجل عمل شيء نقي خارج عن عرف المجتمع، فإن الإجبار هذا لا يحتاج إلى جهد مجرد. نستطيع أيضاً إضافة معرفة ذاتية، ومعرفة الآخرين واللطف، عندما تكون الحاجة إلى التلقائية والحماس، فإننا نضغط على أنفسنا للصلاة، وحينها يجب أن نقف في حضور الله من خلال فعل إيمان نقي، ونحن نعلم أنه موجود ومن هو. نحن نقترب منه بالعبادة، وفي مخافة مبجلة نتيجة لكل ما هو مقدس. ونؤكد على السعي للإنتباه إليه. فنضغط على أنفسنا كي نفعل هذا لأننا نريد مشاركة الله لا فقط لأجل الفرح المباشر، ولكن الفرح الأخير الدائم الذي يأتي إلينا عندما نهتدي بواسطة هذا التماس معه ونعيش في صحبة الله. ماذا يجب أن نفعل دون خداع

أنفسنا أو خداع الله ؟ هو أن نقف في حضوره ونقدم له حتى هذه الصلاة غير التلقائية مع التأكيد على قناعة العقل وتصميم الارادة.

إن هذا يعني شيئين: الأول أننا لا نبحث أولاً عن الفرح في أية مشاركة مع الله، ولكن التحول العميق الذي يمكن لله وحده أن يفعله بنا. ذلك لأننا هيأنا مثلما قال آباء الكنيسة كي نعطي دمنا لأجل أخذ الروح؛ وثانياً، تعني أن صلاتنا يجب أن تكون تعبيراً ممكناً لقناعتنا الحقيقية.

عندما نصلي بكلماتنا الخاصة، يجب أن تكون صلاة رزينة ويقظة ومتواضعة. ويجب أن تعبر عن حقيقة فقرنا مثلما عن قناعتنا وإرادتنا. وهذه تتطلب جهداً كبيراً للإعتزال، ولكن بعض الاعتزال هو واحد من العناصر الضرورية لأي مشاركة. إذا استخدمنا صلوات مهيأة (من قبل أناس تألموا أو تحمّسوا تلقائياً) فإننا يجب أن ننتبه لئلا نكذب على الله تحت عذر تقديم صلاة جديرة به.

عزاء
آيات الكتاب المقدس

نحتاج في فترات اليبوسة إلى بعض الصلوات المحفوظة، والتي تعني الكثير لنا في أوقات أخرى. إن هذه الصلوات التي تعبر عن أفكارنا وقلوبنا يمكن أن تقدم إلى الله عندما نشعر أننا نملك القليل لنعبر به. ولكن أحياناً نحن بحاجة إلى تحديدها. هناك صلوات ممكنة لإنارة لحظات حياتنا والتي لا نستطيع إعادتها مع أنفسنا بسهولة كفعل الإيمان. فعندما نكون مملوءين من الشك، لا نستطيع القول لله: 'ربي إن قلبي مستعد، إن قلبي حاضر'. وهناك العديد من الصلوات المتشابهة يجب تغييرها لذلك نقول الحقيقة لله. يجب أن نجد موازنة بين التعبير عن قناعاتنا الأكيدة، وحقيقتنا الحالية المشوّهة. من المهم أن نكون قادرين على إستخدام هذه الصلوات كي نوقض أنفسنا أو نرجع إلى الحياة لأن الحياة تأتي من كلمة الله. ففي الأوقات الموحشة نستطيع النصح بشيئين، نستطيع البدء من نص من الكتاب المقدس. أو عندما نحس بالإحباط أو الحزن، نستطيع أن نبقى في حضرة الكلمات، وربما نكون قادرين أكثر إذا فكرنا في إستلامها وحمل الثمار. يجب أن نختار النصوص الكتابية التي نجدها عادة ذات لحن شجي (تثير الشفقة). نصوص تجعلنا غالباً ما نفكر بها وبخصوص الإجابة عنها، والتي تعني شيئاً في حياتنا، وتتخللها مثل الخميرة التي تضيفها المرأة إلى العجنة. يفترض أن نعيد قراءتها عندما لا نشعر بالحماسة، ومنها نستطيع أن نقدم صلاة تبدو لنا باردة وميتّة، ولكنها صادقة على الأقل.

يلزم أن لا نصلي فقط آيات من الكتاب المقدس في لحظات يتوجب علينا أن نضغط على أنفسنا للصلاة. لكونها طريقة جيدة للصلاة، ولكننا نحتاجها خصوصاً في اللحظات السيئة، لأن كلمة الله هي خلاّقة بطريقة جبارة، إنها تصل إلى أبعد من أعماق أنفسنا، إنها حياة وتستطيع أن تهبنا الحياة،لأن الله نفسه يتكلم.

الاستعانة بذواتنا

حينما لا نستطيع ان ننظم صلاتنا بأنفسنا، عند ذلك نستفيد من تلاوة صلوات نضمها القديسون لكن بشرط، لأن من الصعب في هذه الأوقات أن نشعر تماماً معرفة لمن نصلي. يبدو الله غائباً والسماوات فارغة، ونشعر وكأننا نصرخ في يأس حيث لا يسمعنا أحد. وهذا ما توضحه المقاطع من أيميل فيرهيرن[1]Emile Verhaeren:

يعطي ليل الشتاء قدحه النقي إلى السماء باحترام.
وأنا أرفع قلبي، قلبي الذي داهمه الليل.
ربي اقدم قلبي لفراغك.
ولكن أنا أعلم أنك لن تجاوب.
أنت لست موجوداً، ولكنك رغبة قلبي
أنا أعلم أنك...[2]،وشفتاي وركبتاي تصلي،
يداك الكبيرتان مغلقتان،
عيناك الكبيرتان تنسحبان من يأسي
أنا أعلم أنك مخيلتي.
ربي أرحم يأسي.
يجب أن أصرخ إلى صمتك.
يعطي ليل الشتاء قدحه النقي إلى السماء. الى الظلام.
أنا هنا، الآخر في مكان آخر،
الصمت لا يهب شيئاً
نحن لسنا سعداء. الشيطان يمر بنا من خلال غربالة.
نحن نتألم ولا طريق لنا أيضاً.
لا يد ولا كلمة بيننا.

فقط الحديث الليلي العام وغير الحميم
عندما لا نستطيع العمل، ولا يكون الحب ممكناً.

---

[1] شاعر بلجيكي عاش بين سنة 1855و1916
[2] حجبنا الكلمة لمعناها السلبي (المترجم)

أنا أصغي، أنا وحدي،والوحدة تفزعني.
أسمع رنة صوتها، أسمع صراخاً.
أشعر بأهيف الريح (تموجه الخفيف) تنكش شعري
من أنياب الوحش، ومن الموت، وتنقذها.
مرة أخرى أشعر بالموت بين أسناني.
التواءات أمعائي، وأنا أمسك أنفاسي.
لوحدي في معصرة النبيذ، أدوس العنب بهذيان
كل ليلة من حائط إلى حائط، ضاحكاً بوحشية.
هل هو من جعل عيوني لا تراني؟
وهو الذي جعل آذاني لا تسمعني؟
أنا أعلم كلما تكون الخطيئة عظيمة، ستبقى رحمتك أعظم.
في ساعة أمير هذا العالم، نجنا من الشرير

عندما يبدو الله غائباً، فإن السماوات خالية والفراغ جسيم. فيفترض ألاّ نوجه صلاتنا مباشرة إليه، ولكن للتحدث إلى أنفسنا. يفترض أن نعنون كل كلمة من كلمات صلواتنا إلى أنفسنا المهمومة النائمة. ويجب أن نعالج أنفسنا مثل أم تأخذ طفلاً وكيحا في حضنها وتقص له قصة. أولاً يتجاهلها الطفل، ثم يبدأ إعارة الانتباه.
يفترض بنفس الطريقة أن لا نبدأ بنطق كل كلمة فقط وفق معناها المجرد، دون إنعكاسها وفق وزنها، أولاً نقول الكلمات ونفهمها بسهولة في فكرنا ثم نقدمها إلى قلوبنا، ونكرر العبارة أو جزء من العبارة مرة أو اثنتان أو ثلاث مرات كي نحاول أن نضرم ما هو حي فينا تحت الرماد. يجب أن لا نضغط على إرادتنا، بل ندعها ترتاح. لأن الراحة جزء من نكران الذات الصارم. فيفترض أن نكون قادرين على جعل أنفسنا تتقدم بمرونة، سلبياً ولكن بموقف سليم. يفترض أن نصغي بذكاء وبتجاوب من قبل كل ما هو حي فينا إلى الكلمات المألوفة، إلى كلمات تنطق في الصحاري، وببساطة إلى صلاة وحياة في الله. فإن كنا مصغين بسهولة إلى هذه الكلمات بدون جهد، وبدون إضافة إلى تعبنا وإرهاقنا ثم نعيدها ونحاول تذوقها والاحساس بوزنها، فغالباً بعد فترة وربما لفترة طويلة تعيدنا هذه الكلمات

إلى الحياة أولاً، حياة القلب ثم الارادة. وتجعلنا فعالين ثانية وقادرين على فعل صلاة رفيع.

يمكن أن يكون جسدنا هذا، الذي هو غالباً مصدر أذى لنا في صلاتنا، ذو قيمة كبيرة. يستطيع هذا الجسد الذي هو عضو في جسد المسيح وتغذى من الأسرار، أن يعيد الحفاظ على أنفسنا، لأن الجسد يلعب دوراً فعالاً في حياتنا الداخلية. إنّ له جزءاً سواء أكان له شعور أم لم يكن، في كل حركة نفس، وكل شعور وفكر، وفعل الارادة أو الخبرة المتسامية.

إن إستجابة الجسد هي بشكلين، إنها تلعب دوراً في جهد تركيزنا، وتتوافق مع ذلك الموضوع المتعلق. وهذا لا يحدث كيفما كان. فأجزاء مختلفة من الجسد تدخل في مختلف مواضيع التركيز والتفكير، والشعور حول نفس المواضيع، مع وضوح أكبر أو أقل، وبفعالية أكبر أو بطريقة أكثر تقبلاً، وتتضمن مختلف أجزاء الجسد. فأحلام اليقضة فقط يمكن أن تثبت نفسها، إنها طبقاً إلى ثيوفانوس المتوحد Theophanos تهيم مثل نظير: ‘‘الحشد الفوضوي ’’أو طبقاً لراماكريشناRamakrishna (تعاليم هندوسية): ‘‘قرود تقفز من غصن إلى غصن"، حالما تأمرنا الفكرة يدعونا الشعور، حيث كل مجاميع النشاطات الجسدية حولها، وتكتسب قوة تماسك عظيمة بسهولة.

إن حقل الضمير يقترب ويحدد الفضاء المادي للإنتباه مع ما يصاحبه من خواص نفسجسدية.

إنّ نكران الذات الصارم بالإكراه والجسدي هو الطريق الوحيد لتأسيس صلاة ثابتة تماماً، الصلاة التلقائية، المولودة من الاعجاب أو الألم، وهي صلاة معتمدة كلياً على الحادث. ويمكن فقط الصلاة المولودة بسبب ادانة (الذات) والارادة الثابتة أن تجعلنا وجها لوجه مع الله. إن صلاة (الكائن) الأسمى الثابتة في الكنيسة الأرثوذكسية والمسماة صلاة يسوع هي: ’’أيها الرب يسوع المسيح، ابن الله، ارحمني ".

صمت الله وصمت الإنسان

إنّ المشاركة بين الله وبيننا في صلاة ثابتة تقودنا دائماً إلى الصمت. ويجب أن نتعلم التمييز بين نوعين من الصمت: صمت الله وصمتنا الداخلي الخاص. أولاً، إن صمت الله غالباً أصعب على التحمل من رفضه، الصمت الغائب الذي تحدثنا عنه في البداية. وثانياً إن صمت الإنسان أعمق من الكلام، هو الشركة الحميمة مع الله أكثر من أي كلمات. إنّ صمت الله تجاه صلاتنا يمكن أن ينتهي بعد فترة قصيرة أو ربما يبدو يدوم إلى الأبد. كان المسيح صامتاً تجاه صلوات المرأة الكنعانية، وهذا ما قادها إلى أن تجمع كل إيمانها ورجائها ومحبتها الإنسانية كي تقدمها إلى الله، لذلك أمتدت أحوال الملكوت لتشمل من هم ليسوا من الشعب المختار.

إن صمت المسيح استفزها كي تجاوبه، وتغدو إلى أقصى إمكانيتها. والله يفعل نفس الشيء بالنسبة لنا بعد صمت قصير أو طويل كي نستدعي ما أمكن وبسهولة من قوتنا ووفائنا، ويقودنا إلى علاقة عميقة معه. وأخيرا يبدو الصمت أحياناً مرعبا لنا، فهل نعلم بكلمات الفريد Alfred de Vigny

إذا، مثلما نقرأ، إنّ إبن الإنسان
صرخ في البستان المقدس
ولم يسمعه احد
إذا أهملتنا السماء حتى الموت،
يفترض أن نرفض صمتها غير العادل
ونطوّع الصمت لأجل الصمت

أليس هذا الوقع هو الذي يشعر به العديد من المسيحيين بعد قراءتهم رواية معاناة يسوع في البستان؟ وهذا الصمت هو مشكلة لنا نحن الذين نريد الحل، مشكلة الصلاة التي ظاهرياً لا تستلم جواباً نهائياً. فإذا قرأنا الإنجيل

نجد إن الصلاة إلى الله غير المسموعة فقط هي صلاة إلى المسيح في جثسيماني. يفترض أن نتذكر هذا لأنه غالباً ما نحاول ونفسر صمت الله كصمت الإنسان أو كنقص إلهي. عندما نحاول الدفاع عن جلالة الله نقول إن إيماني أو إيمانك ليس قوياً إلى درجة إن الله سيجيب بمعجزة. عندما يكون إيماننا ضعيف نقول: ربما إن الله لن يجيب بسبب العجز عن العمل، أو عدم الاكتراث. ولكن لا شيء لنا لنقول تجاه بقاء صلاة المسيح. لا نستطيع الشك بمحبة الله له، وألم يقل المسيح إن أباه يستطيع ان يرسل 12 كتيبة من الملائكة كي تخلصه؟، فإن كان المسيح قد تُرك، فذلك بسبب إن الله رأى مسبقاً أمراً أفضل سيتم لنا بفضل ذلك كثمن لحياته. في هذه الصلاة، وفي بقية الصلوات في الإنجيل نرى إن الصلاة تبقى بدون ثمار إذا لم يرافقها الإيمان.

هل تتذكر مقطعا حيث المسيح لم يكن قادراً على عمل أي معجزة في الناصرة بسبب عدم إيمان الناس هناك؟ فحالما يوجد أي إيمان، فإن الظروف حاضرة للمعجزة، لذلك لأن ملكوت الله قادم مصحوباً بالقوة. وبدون تدخل حتى ولو بسيط لأنه رب الملكوت، إن أفعال المسيح المصحوبة بالقوة العليا، تجيب صلواتنا وتساعدنا وتحفظنا. ولكن حينما يكون إيماننا ثابتاً فيه، نصبح قادرين على مشاركة اهتمامه بالعالم ونشارك في وحدته بمواجهة صمت الله. يجب أن ندرك إن صمت الله هو أما التماس لشدّة سكنه فينا أو انه أصلاً أخذ تلك الحسابات، ويقدمنا للمشاركة في عمل المسيح الخلاصي.

انه صمت وغياب الله، وهو صمت وغياب الإنسان أيضاً. لا تصبح أية مشاركة عميقة وممتلئة حتى يسعى الاثنين ليصبحا صمتاً الواحدة مع الآخر. طالما نحن بحاجة إلى كلمات وأفعال، وبرهانٍ ملموسٍ. وهذا يعني أننا لم نصل إلى عمق وملء ما نبحث إليه. إننا لم نختبر الصمت الذي يضم شخصين في ألفة مشتركة. إنه يذهب إلى العمق أكثر فأكثر مما نعلم أين كنا، صمت داخلي حيث تشارك الله، ومع الله، وفي الله الذي هو قريبنا.

لا نحتاج في حالة الصمت هذه إلى كلمات كي نشعر بأننا قريبين من الله، ومن مشاركته في كياننا الأعمق، والذي خلقنا، ويوحدنا.وعندما يكون الصمت عميقاً بما فيه الكفاية، نستطيع ان نتكلم من عمقه، ولكن باعتناء، وباحتراس لا لكسره من خلال كلماتنا الضوضائية غير المرتبة، حينئذ تكون أفكارنا تأملية. إن فكرنا بدلاً من أن يحاول أن يجعل تبايناً بين أشكال عديدة، كما يفعل دائماً، يحاول خلق إضاءة بسيطة من أعماق القلب، فالفكر ينجز عمله بصدق، إنه يخدمه حيث يعبر عن شيء أعظم من ذلك. ونحن ننظر إلى أعماق ما وراء ذواتنا، ونحاول التعبير عن شيء نجده برهبة ووقار. إنّ بعض الكلمات، إذا لم نحاول أن نعقل التعبير الكامل، لا تتوقف عن الصمت، ولكن تعبر عنه. هناك مقطع ملفت للنظر لكاتب كوارثي من العصر الوسيط، يقول أن المسيح هو كلمة الله، والآب خالق الصمت الذي يمكن أن يعلن كلمة ملائمة لذاته، كتعبير تام له.

نشعر بشيء من هذا في لحظات الصمت، فأحياناً يأتي هذا الصمت إلينا مثل المعجزة، مثل عطية إلهية، وغالباً وعلى الأكثر علينا أن نتعلم أن نهيئ حجرة صامتة لأنفسنا. يجب أن يكون لنا إيمان وصبر ورجاء، وذاك السلام الداخلي الذي يدعونه الآباء اليونانيون (هيزيخياHesychia). يتطلب التأمل هذا الصمت، الذي لا يستطيع أن يعرف أما كفعالية أو استسلامية. إنها طبيعة هادئة واعية، ولكن يجب أيضاً أن نتعلم من خلال النسك الجسدي والروحي كي ندرك الصلاة الكاملة للصمت الداخلي.

البحث عن الصمت

نبحث عن الصمت بطريقتين إنسانية وإلهية، ويجب أن نبحث عنهما كليهما بأنفسنا، ونرجوهما كعطية. إن الإنسان يبحث عن وصفهما لنا في سياق عجيب(يسترعي الإنتباه) في كتابات العصور الوسطى للأب لورنس Fr. Laurence في تمرين استحضار الله. فبكل تواضع أرغب في سرد قصّة المرأة العجوز التي صلّت لسنوات دون أن تشاهد حضور الله، ولكنها أخيراً وجدته في الصمت. وبعد فترة قصيرة من رسامتي الكهنوتية، أرسلت إلى بيت أناس عجزة كي أحتفل بعيد الميلاد معهم،

فجائت امرأة عجوز وقالت لي إنها تتلو بثبات صلاة يسوع لعدة سنوات، لكنها لم تحصل على خبرة حضور الله. لقد وجدت إجابة بسيطة لمشكلتها، فقلت لها: ' كيف يستطيع الله أن يقول كلمة إذا كنت لا تتوقفين عن الكلام، أعطيه فرصة واهدئي '. فقالت:'كيف استطيع أن أفعل ذلك؟'. فاعطيتها حينذاك بعض النصائح التي اعطيها للآخرين لأنها وفق نفس المناسبة.

لقد نصحتها أن تنظم غرفتها بعد الفطور وتجعلها تبعث الى السرور قدر الإمكان، وتجلس بوضع ترى فيه كل الغرفة وكذلك الشباك المطل على الحديقة، والإيقونات التي ترافقها لمبات زيتية صغيرة: ' عندما تجلسين استريحي لربع ساعة في حضور الله، وانتبهين لا تصلي. كوني هادئة قدر استطاعتك وكأنك تبدين بوضوح غير عاملة لشيء. استعدي امام الرب وقولي لي ماذا سيحدث'.

وبعد بضعة أيام جاءت فرحة، لقد احست بحضور الله. فسألتها بحب الإستطلاع ماذا حصل؟ فقالت انها فعلت بالضبط ما اقترحت. لقد جلست ونظرت حولها بهدوء وشعرت بالسلام وسكنت ولم تصل لأول مرة منذ سنوات فقالت إنها كانت مسرورة بوجودها في الغرفة فقد تطلعت عليها وكأنها رأتها لأول مرة لقد كانت هناك مشاركة (لم تلاحظها سابقا) بينها وبين المحل الذي عاشت فيه لعدة سنوات. لقد اصبحت واعية للسلام والصمت الذي حولها، سلام وصمت مؤكد من خلال دقة ساعتها وطقطقة ميلها على مرفق كرسيها. وتدريجيا ادركها الصمت الحاضر خارجها واحاطها. لقد قادها الصمت الى خارج ذاتها، الى صمت اغنى لم يكن فقط غياب الضوضاء لكن غنى في ذاته فوجدت حضورا في مركزه.وعندما احست بهذا الحضور اتجهت نحو الصلاة ولكن من اعماق هذا الصمت، لا في سيلان الكلمات ودوران الأفكار ولكن بلطف وهدوء آخذة كل كلمة من خلال الصمت لتقدمها الى الله. وطبقا لصلاتها الخاصة التي اصبحت تعبيرا عن صمتها الداخلي وجزءا من صمت الله الذي احست به، فإن هذه الطريقة سهلة لكل واحد منا كي يجربها. إنها طبعا تعني التباري مع دوران الأفكار وتأرجحات القلب ولا راحة الجسد ودوخة الإرادة. هناك العديد من التمارين التي تستند على النسكيات والنفس، ولكن حتى بدون هذه فإنه من

الممكن أن ندع انفسنا تقف امام الله الى عمق الصمت الذي نستطيع، وهذا سيساعدنا كي نصل الى تقدم كبير.

يأتي هذا الصمت الينا احيانا من الله ولو بطريقة بسيطة وبدون أي إنذار، فجأة عندما نجد انفسنا صامتين مرتاحين بالله.

الصلاة لأجل الآخرين هي سفك دمائنا وبذل انفسنا بعطف ورحمة. ولكن الصلاة لأجل الآخرين هي أيضا المضي في طريق المسيح وتصبح تعبيرا عن شفاعته حيث نتحد معه بصلاته، وبتجسده نختبر تأوهات الروح داخل قلوبنا، وبعطفنا الكبير والحميم نتعرف عليه كلما نرحم اولئك الذين نصلي لأجلهم، وكمالنا الأكبر هو عندما نكون في شركة مع الله الرحوم.

ترتفع صلاتنا اعلى من الألم الإنساني الذي يقودنا إلى لب سر الله: أولا نحن واعين للألم، ثم مثلما إن صلاتنا مستمرة فإننا نصبح واعين اكثر لحضور الله واللحظة القادمة عندما نفقد بصيرة الأرض ونقاد بعيدا نحو اعماق الله. بالراحة والصمت والسلام ثم في قلب سر المحبة نجد مرة اخرى اولئك الذين لأجلهم احسسنا بالعطف.

إن روح المحبة، روح الله يأتي إلينا ويقودنا نحو الأرض. ولكن الآن فإن ما في طبيعتنا من الأرضي ينهض مع رغبة الله الحي الله المحبة سوية. هذا الصمت يقودنا ألى شركة مع الله في ايمان هادئ وبسيط يسمى احيانا (صلاة النظر البسيطة)، التي تعبر بطريقة جميلة من خلال الفلاح الآري الذي عندما سئل من قبل كاهنه القديس ماذا يفعل حينما يجلس ساعة تلو ساعة في الكنيسة دون حتى أن يحرك مسبحته: (انظر إليه وينظر إلي ونحن فرحين مع بعضنا). لكن هذه الصلاة البسيطة ليست صلاة فقط ولكن قدرة تحول. يشرح الفونس دي شاتوبريان في كتابه La Reposse du Seigneur كيف إن الصلاة التأملية البسيطة حولت طفل لا من الداخل فقط بل من الخارج أيضاً:

"كان هناك جبل ناء يحتضن قرية صغيرة تقع تحت صخرة الكرانايت (صخرة نارية حامضية المعادن- المترجم) وكان لها شكل طبيعي يشبه شكل انسان منحوت فيها. قد سيطر هذا الوجه على المنطقة المحيطة به بسبب كونه كبيراً جدا وله تعبير مهيب. وكانت القرية تحته تبدو اشبه بصقر صغير، وقد آمن الناس في القرية أنه في أحد الأيام سيأتي شخص صالح جدا – يبدو شكله كالشكل الذي على جانب الجبل – إلى قريتهم ليشركهم فضيلته ويعمل الصلاح.

كان هذا الكلام ما قاله الآباء لأولادهم خلال الامسيات الطويلة وهم يثقفون اطفالهم، كي يعيدوا ايقاظ الذكريات القديمة المفرحة، وليعطوا الرجاء للمريض.

سمع بهذا الكلام صبي صغير كان هناك وحافظ على ديمومة التفكير والنظر إلى الصخرة حيث غالبا ما كان يجلس على عتبة الباب واضعا اصبعه عند زاوية فمه ناظرا عاليا إلى العملاق الضخم المطل على الناس من فوق. كان يقف وسط العابه يفكر بالوعد الجميل. أي كنز سيجلبه البطل؟ فاصبح بتماس اكثر فاكثر مع هذا الشكل المنحوت، وتدريجيا نما الصبي بشكل يشبه الصخرة المنحوتة حتى انتهت فترة طفولته. وفي يوم كان يسير في القرية نظر اليه اصدقاؤه وجيرانه وتعجبوا ورأوا أنه هو الذي تحدث عنه التقليد القديم.

تظهر لنا قصة الراهب سيلفانوس إن الصلاة مشاركة الله والإنسان، والإنسان والله كما قلت في البداية، إن رؤية الأشياء في العمق تهبنا معرفة الحقيقة، وجيراننا المرئيين وغير المرئيين.

جارنا والصلاة

هذا يقودنا الى نقطتنا الأخيرة في اعتبارنا عن هذه المشاركة، اقصد المشاركة مع الجماعة الإنسانية. هذه الجماعة الإنسانية تأتي إلينا من خلال طريقين: من جهة هي جماعة علمانية أي كل العالم الإنساني من حولنا والذي نحن جزء منه. ومن الجانب الآخر، جماعة الكنيسة والذي نحن جزء منها أيضاً. على المسيحي في الجماعة العلمانية أن يكون حضوراً للمسيح، وهذا يعني الإلتزام الكامل. إن الفعل المركزي لتدبير الخلاص هو تجسد كلمة الله، فعل به تسامي الله الحر ليصبح واحدا منا، وضمننا إلى الأبد.

على أي حال يجب على المسيحي أن يضمن بنفس الطريقة. ألم يقول المسيح: ' كما ارسلني الآب كذلك أنا أرسلكم '. ألم يضيف إنه ارسلنا كالخراف بين الذئاب. ألم يقل إنه يجب علينا أن نكون في العالم ولسنا من العالم؟. إن هذا يجبرنا كي نلتقي العالم كله. فكل عضو من الجماعة الإنسانية هو شخص ولكن بطريقة جديدة ضمن بصيرة الله وبواسطته. وكي نحكم على كل شيء بطريقة جديدة، بطريقة إلهية، الذي لم يأت ليدين العالم بل ليخلصه، الله احب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لأجل خلاصه. يوجد في الإنجيل تغير جذري في القيم بخصوص المشاركة بين الله والإنسان. لاحظ إن الصالح والشرير يفقدان معناهما، ولكن يبدو الشرير مجروحاً، مثلما يربك المرض جارنا فنتألم بسببه. نستطيع أن نكره الشرير ونحب جارنا كثيرا حتى الموت. قال أسقف روسي شهيد إنه إمتياز للمسيحي أن يموت شهيدا لأنه كشهيد فقط يستطيع الوقوف امام الله في يوم الحساب ويدافع عن اضطهاده. ' ربي بإسمك وعلى مثالك أنا اغفر لهم. لا تقل شيئا لهم ' إن قلب القيم يتم بواسطة سر الصليب، الموت البريء لأجل الخطأة. نرى ثلاثة صلبان على الجلجلة، لصين وابن الله، يدين لص اليسار وفق القيم الإنسانية، فإذا كانت العدالة الإنسانية قد ارتكبت جريمة صلب البريء، فإنها تفقد حق تسميتها بالعدالة، ويستطيع المجرم أن يلتمس ما يضادد ذلك، ويلعنه، ويرفضه، وينكره. إنه يموت في حالة ثورة.

إن لص اليمين يرى إن تلك العدالة الإنسانية تستطيع أن تعمل بدون عدالة وتدين البريء، ولكن المذنب أيضا، إنه يقبل تألمه الخاص وأدانته بسبب

رجل بريء يتألم معه. إنه يجد السلام ويذهب إلى الفردوس. منذ أن تألم ربنا يسوع المسيح، وبما أن الله جعل إنسان يظهر كمجرم، لا نستطيع دينونة مجرم بنفس طريقة العالم القديم، لا نستطيع الثقة كليا بمعطيات عقلنا وحواسنا.

فوفق بصيرة الله نرى الإفعال التي ندين ويفترض أن نكون حاضرين لنبذل حياتنا للشخص الذي فعل الخطأ. وعندما نكون ضحايا هذه الإعمال، ننال قدرة خارجية، القدرة الإلهية لغفران هذه الأخطاء الآن وإلى الأبد. وهذا يعني إن صلاتنا هي حالة نحّضِر أمام الله من خلالها كل الأشياء التي تحصل في عالم يميل للإبتعاد عنه. إن لصلاتنا دور كهنوتي، يجب أن نذبح ال"أنا"الداخلية (ego). نحن ملكوت كهنوتي دعينا لجعل كل الأشياء مقدسة. ندين الشر الذي نراه، ولكن الفاعل هو أخونا ويجب أن نصلي ونعيش ونموت لأجله. وهذا هو معنى الشفاعة والتي سنناقشها فيما بعد.

نكتشف الله بالمسيح في جماعة الكنيسة. ملاقاة المسيحي الحقيقي تتضمن رؤية العالم بكلا وجهيه الخارجي والداخلي وإله هذا العالم مع كل حقيقته غير المرئية. تلاقي المسيحي يجب أن يشمل كل الكون. فغير المؤمن لا يرى العالم غير المرئي. ولسوء الحظ فإن المسيحي أحيانا يكون اعمى أيضا تجاه العالم المرئي ويعتقد إن هذه هي فضيلة. يفترض إن كل الجماعة الإنسانية مع كل مشاكلها ومستقبلها الزمني والأبدي أن يتم الإهتمام بها من قبل المسيحي. ويفترض بصلاة المسيحي أن تتوسع إلى حد كاف يحوي الكل. وإذا تذكرنا غالبا إن كل شيء هو مهم على الأكثر، ولا شيء دنيوي ما عدا الذي نعمله ننكر قداسته بنفس الوقت، يفترض أن يكون لنا اقل ما يمكن من التشتت اثناء الصلاة، فالعالم يستطيع أثناء الصلاة أن يشغلنا عن الله، ولكن عندما نهتم بشيء ما ولا نستطيع مشاركة الله بالصمت، فإننا غالبا ما نحاول خطأ وضع إهتمامنا خارج فكرنا كما لو كان هناك حاجز بيننا وبين الله. نعتقد إنه من الخطأ وجود شيء آخر يستطيع أن يجلب انتباهنا عندما نكون في حضرة الله. واعتقد أنه غالبا ما نستطيع مشاركة الله قلقنا بدلا من محاولة إزاحته جانبا، يجب أن نقدم قلقنا لله بالتفصيل والدقة والرزانة مثل أم تجلب طفلها للطبيب الذي تثق به.

يفترض أن نقول لله: ' هذا كل ما نستطيع التحدث به إليك في الوقت الحاضر، أنت يا من تعلم كل شيء أنظر إلى مشكلتي، إفهمه بنفسك'.

عندما نقدم شخصا أو حالة لله يفترض أن نكون قادرين للتخلي عنه. ان هذا يتطلب الإيمان ويسر التخلي عن اهتمامنا به، وهو مقياس إيماننا. إن استطعنا القول: ' يا رب أنا الآن قد اخبرتك بكل شيء وقلبي بسلام ويمكنني أن ارتاح فيك' يكون قلبنا بسلام حقا إذا كان فكرنا متحررا من القلق، وحينذاك يكون إيماننا كاملاً. لقد وضعنا حملنا تحت اقدام الله، وهو يحمله الآن على اكتافه الواسعة. دعونا نتشجع بقصة الراهب الذي كان يصلي لجيرانه حيث فقد وعيه تدريجيا وسقط على الأرض بسبب الإنخطاف وبعد ذلك وجد كل جيرانه ثانية عبر الإنخطاف. هذا يفترض أن يرينا كيف تكون من السهولة أن نصادف الله عندما نكون منـزعجين ونحن نقدم مشاكلنا له بمحبة حقيقية وليس بأنانية لأن إله التاريخ الذي خلقنا صار إنسانا بالكامل وتألم إلى أقصى حد وأحس بفقر وغنى الكلمة ليخلصنا ويجلبنا إليه. فبواسطة صلاة الشفقة يجب أن نكون متضامنين بقدر ما كان المسيح بتجسده، وأن ننشغل بالعمل المساند لصلاتنا ويجعلها صادقة، إن الصلاة بدون عمل تعتبر كذبا وهذه هي الطبيعة الأساسية للشفاعة.

الشفاعة

إن التشفع لا يعني تذكير الله بأشياء قد نسي عملها، إنها تضعنا في قلب الحالة القلقة. نذكر هنا حدث حصل أثناء الحرب العظمى والحرب الأهلية في روسيا، عندما كانت البلاد منشغلة في الحربين كانت في قرية اقليمية صغيرة انتقلت تواً من مالك الى آخر إمرأة صغيرة العمر (حوالي 27سنة) وقد حصرت مع اطفالها الصغار، وكان زوجها قد هرب من روسيا ولم يكن بإستطاعتها الهرب ولكن كانت ترغب في انقاذ نفسها واطفالها. لقد قضت يوما وليلة بخوف عظيم. وفي مساء اليوم التالي فتح باب مخبأها ودخلت جارتها وهي إمرأة شابة بعمرها وكانت إمرأة بسيطة لاشيء استثنائي في ملابسها. فقالت هل اسمك (فلانة؟). أجابت الأم بخوف عظيم: ' نعم'، فقالت الجارة: ' لقد اكتشفوا محل وجودك وسيأتون هذه الليلة

ليقتلوك ويجب أن تغادري فوراً'. فنظرت الأم إلى أطفالها وقالت: 'إني سأذهب؟ ولكن كيف يمكن أن أذهب مع هؤلاء الأطفال؟ إنهم لا يستطيعون المشي بسرعة كافية أو لمسافة كافية كي لا يستطيعوا الإمساك بنا'. وفجأة أصبحت هذه الجارة مثل الجار الذي ذكر في الإنجيل حيث اقتربت من الأم وقالت مبتسمة: ' سوف لن يذهبوا معك لأنني سأبقى هنا في مكانك'. كان يجب على الأم أن تجيب: 'إنهم سيقتلونك' فأجابت الجارة: 'نعم ولكن ليس لدي اطفال، أنت يجب أن تغادرين ' ثم غادرت الأم.

لن اتحدث عن ذلك ببساطة كقصة تضحية، ولكن أرغب التطرق إلى بعض النقاط التي تعطيها أهمية خاصة في المسيح ومن خلال الصليب،حيث تقودنا إلى فكرة القيامة وحياة ذلك الذي هو أعظم منّا في اولئك الذين هم أصغر.

ناتالي في المسيح

لقد خرجت الأم وبقيت الإمرأة الشابة خلفها وكان إسمها ناتالي. لا أريد أن احاول تخيل ما حدث في تلك الليلة. ارغب أن أشير ببساطة إلى بضعة مقارنات. لقد سكن الليل وكان الفصل خريفاً فأضحت الليلة أبرد واكثر رطوبة وظلاماً. لم تتوقع هذه الإمرأة الشابة لوحدها أي شيء عدا الموت. وكانت على وشك أن تتألم دون سبب. لقد كانت شابة وبصحة جيدة، ولم يكونوا يلاحقونها. تذكرت بستان الزيتون حيث كان هناك رجلاً في الظلام (يقصد يسوع)، كان شاباً أيضا في الثلاثينات من عمره، وكان اصدقاؤه جميعاً نائمين ينتظرون الموت، وهو ينتظرهم كي يأتوا إليه لأنه قبل الموت بدلاً عنّا.

نعلم من الإنجيل إن يسوع تألم وبكى إلى أبيه وعرق دماً، وعندما لم يستطع التحمل أكثر من ذلك لوحده، ذهب ليرى فيما إذا كان تلاميذه يقظين، ومن ثم ذهب ورجع للخلف ليواجه الموت وحده، الموت لأجل الآخرين، إنه مستحيل ومضحك ولكن هذه هي الصورة الأولى: ناتالي في المسيح.

كان يجب على ناتالي أن تذهب إلى الباب اكثر من مرة مفكرة مع نفسها: ' أنا عليّ فقط أن ادفعه ليفتح وأكون بعد الآن ...ناتالي مرة أخرى ولن يحكم عليّ بالموت. ' ولكنها لم تخرج. يمكننا أن نتصور كيف ارتعبت عندما تذكرت فناء قيافا، وبطرس الصخرة القوي الذي قال للمسيح إنه إذا انكره كل العالم، فهو لن ينكره بل سيموت لأجله. لقد قابل بطرس الخادمة التي ارادت أن تقول له فقط:' أنت كنت معه أيضاً.' وكان جوابه: ' أنا لا أعرف الرجل ' وهكذا انكر بطرس المسيح مرتين آخريتين فما كان من المسيح سوى أن يلتفت وينظر إليه.

كان يمكن لناتالي أن تستسلم أيضاً وتقول: ' لن أموت بل سأهرب.' ولكنها لم تفعل، لذلك قاومت المرأة ذات الثلاثين بواسطة المسيح بينما تخلى بطرس عنه.

يجب أن تسأل هذه المرأة الشابة أيضاً فيما إذا كان موتها لن يحتمل وبدون جدوى. إن الجميع راضون جدا أن يموتوا لإنقاذ المرأة واطفالها، ولكن ماذا إذا كان قد تم مسك المرأة الأخرى وقتلت أيضاً. لنتذكر الرجل الذي كان الأعظم بين أولئك الذين ولدوا من إمرأة وهو يوحنا المعمدان. عندما قربت نهاية حياته وكان موته قريباً، أرسل إثنان من تلاميذه ليسألوا المسيح: ''هل أنت الآتي أم ننتظر آخر؟ ''كم هو ثقل الألم في السؤال الذي يبدو بسيطا جداً. لقد دخل الشك في نفسه عندما كان على وشك الموت، فقبل الموت يفكر في نفسه: ' ماذا يحدث إذا كنت قد أخطأت؟ وماذا سيحدث لو كان هذا الذي تنبأت عنه لم يأت بعد؟ وهل هذا الذي أدليت بشهادة عنه هو رجل خاطيء؟' كان من الممكن أن تكون حياته الصعبة في الصحراء أن تكون دون جدوى. لقد دعي صوت صارخ في البرية وليس نبياً متكلماً بإسم الله. إنه صوت الله المتكلم من خلاله متطابقا مع صوته. إذا كان يستحق ذلك كله وهو قريب من الموت. وهل يسوع الناصري هو حقا ذلك الذي يجب أن يأتي؟ فإذا لم يكن هو فالله يخدعه مثل ناتالي في مخبئها؟ لم يستلم النبي جوابا أو بالأحرى استلم جواب نبي:' إذهب وإخبر يوحنا بما رأيت، الأعمى يرى والأعرج يمشي، والمساكين يتلقون بشارة الإنجيل

وطوبى لمن لا يشك بي ' كان يجب أن يواجه الماضي من سجنه، وكذلك حاضره وموته لوحده.

وناتالي لم تستلم الإجابة أيضا. كان يمكن أن اخبرها الآن. فقد أنقذت المرأة وأعمار أطفالها الآن أكثر من خمسين سنة، وكان من الممكن إخبارها بأشياء اخرى أيضا ولكنها ما عرفت أبدا لأنها قتلت في الليل ,
لكن يوجد شيء آخر للشفاعة بجانب التضحية، بالإضافة إلى الصليب والبستان الذي أعتقل فيها المسيح، توجد القيامة أيضا، والقيامة تتطابق مع رأينا بسر المسيح ووضعنا الإنساني. نحن نتذكر قصة القديس بولس عندما يقول:' لست أنا أحيا بل المسيح يحيا فيَ'. ربما نتساءل أحياناً ماذا تعني هذه الكلمات بالضبط؟ إن ناتالي وأطفالها يعرفون شيئاً واحداً، إنهم من الآن يستعيرون حياتهم لأن حياتهم الخاصة ماتت مع ناتالي، وحياتها تستمر من خلالهم، إنهم يعيشون لأنها ماتت. لقد اخذت موتهم عليها وأعطتهم حياتها وإنهم يعيشون بالحياة التي تعود لها.

شفاعة المسيح

توضح هذه القصة الإنسانية شيئاً مهما جداً حول الخلاص وتبني الحقيقة الصعبة للشفاعة. نتشفع غالبا، ونصلي إلى الله ليكون رحيما وشفوقا لأولئك المحتاجين، ولكن الشفاعة هي اكثر من هذه. تعني الكلمة باللاتينية أن تأخذ الخطوة التي تضعنا في قلب الحالة مثل الرجل الذي يقف بين شخصين على وشك القتال. إن الصورة الأولى في ذهننا تأتينا من الفصل التاسع لسفر أيوب حيث يتساءل الرجل الذي تألم بشدة: أين هو الرجل الذي سيقف بيني وبين حاكمي؟ إين هو هذا الرجل الشجاع الذي يقف بين الله ومخلوقه الفقير كي يفصلهم ويوحدهم؟ ليفصلهم عن التضادات التي تجعل الواحد سجين الآخر، ويوحدهم في الحرية وعودة الإنسجام. إن هذا الرجل هو المسيح، المسيح الذي هو كلمة الله المتجسد، يأخذ الخطوة ليقف بين الإنسان

الساقط والله. هو إله كامل وإنسان كامل، واحد مع الله لأنه هو الله[3]، وواحد مع الإنسان لأنه الإنسان ومستعد ليأخذ نتائج محبته الإلهية بجسده الإنساني.

هذه هي الشفاعة وهذا ما يعنيه القيام بتلك الخطة في قلب الحالة والى الأبد عبر الخلود الكامل لأن المسيح ولد من العذراء ومات على الصليب وقام من بين الأموات وحمل بصعوده جسده الإنساني إلى سر الثالوث.

نرى من خلال مثال ناتالي إن المسيح هو الطريق حقاً، الطريق للعيش والوجود الحقيقي للمسيحي والروح الحقيقي إنسانيا وإلهيا. هو الطريق للحياة، الحياة الكاملة والفائضة المعطية للخلود على حد سواء للذي يعيشه ولأولئك القريبين منه بثمن الصليب. إنه نصر الشهادة، نصر الضعيف على القوي، نصر المحبة الإنسانية والإلهية على ما يبدو ضعيفا ومكروها ومستنـزفا ذاته في وقت واحد.

صورة ام يسوع

بجانب التضحية البطولية لناتالي، فنحن في العالم بطريقة اخرى وهي ببساطة كما قال المسيح: ' أنتم في العالم ولستم من العالم '. بإعتقادي إن التوضيح الأفضل لذلك هو قصة مريم أم يسوع في قانا الجليل. كان هناك أناس متواضعين في حفلة زفاف وهم جيدون ومستقيمون، وقد دعوا المسيح إلى زفافهم ولم يرفض المجيء، وكانت أمه وتلاميذه هناك أيضاً، وتأتي اللحظة في منتصف الحفلة عندما ينفذ النبيذ ويبدأ الحاضرون بمباحثات رنّانة منفصلة ثم تقول مريم: ' ما بقي لديهم نبيذ إضافي '. فأجابها يسوع: ' ما لي ولك يا إمرأة، لم تأت ساعتي بعد'. وبدلا من ان تقول لإبنها بأنها أمه وإن ساعة الرحمة والشفقة تجيئان دائما، لم تقل مريم

---

[3] **على القاريء الكريم أن يأخذ بنظر الإعتبار إن المؤلف ارثوذكسي حيث نفضّل إستخدام كلمة (الإله) (المترجمان)**

شيئاً، بل التفتت ببساطة الى الخدم وقالت: ' إفعلوا ما يأمركم به'. وعلى النقيض مما قاله المسيح توّاً، يبارك ماء الغسيل ليصبح نبيذ الملكوت.

كيف يمكن أن نفهم هذه المحادثة والتناقض بين كلمات المسيح واعماله؟ ألا يعني سؤال المسيح لأمه شيئا مثل هذا؟ 'ما هي العلاقة التي تعطيك الحق للإقتراب مني هكذا؟ هل لأنكِ أمي التي ولدتني؟ هل بسبب علاقتي الطبيعية الأقرب منكِ؟ لماذا إذاً هذا؟ لا أستطيع أن أعمل شيئا لأن الملكوت لم يأت بعد ' وبدلاً من أن تجيبه مريم، الإتيان بالملكوت يظهر إن لها الإيمان الكامل به، وإن الكلمات التي تأملت بها في قلبها منذ البداية كانت مثمرة وهي تشاهده بكونه كلمة الله. ولكن من ناحية ثانية فإن الظروف مواتية لملكوت الله، إن الله حاضر لأنها وهبت ذاتها له بالكامل وبإيمان تام يمكنه أن يتصرف بحرية وبدون طبيعة قسرية لأنه يعمل ضمن ميدانه الخاص وهكذا يعمل الآية الأولى في الإنجيل.

نحن يمكن أن نكون بنفس حالة مريم. يمكن أن نجعل ملكوت الله حاضرا حيثما نحن على الرغم من شكوك الناس، ببساطة بحصولنا الإيمان الكامل بالرب، بإظهار أنفسنا كأطفال الملكوت. يعتبر هذا فعل شفاعة حاسم. الحقيقة بأننا حاضرون في حالة تحول بشكل كبير لأن الله حاضر معنا من خلال إيماننا. حيثما نحن، في البيت مع عائلتنا، مع الأصدقاء عندما يوشك الشجار أن يبدأ، في العمل أو حتى ببساطة في قطار الأنفاق، أو الشارع، السيارة، يمكن أن نتذكر ذواتنا ونقول إن الرب يثق بنا، يأتي ويحل بيننا. وبفعل الإيمان هذا وبصلاة تأملية لا تريد الرؤية، يمكن أن نتوسط مع الله الذي وعدنا بالحضور عندما نبحث عنه، أحيانا لا كلمات لدينا، وأحيانا أخرى لا نعرف كيف نتصرف بحكمة، ولكن يمكن أن نسأله دائما كي يأتي ويكون هدية وغالبا ما نرى كيف سيتغير الجو، وتتوقف النـزاعات، ويحل السلام. إن هذا ليس نمط بسيط للشفاعة، ولو أنه اقل من التضحية بالذات. نرى فيه كيف إن التأمل والعمل متلازمين، يستحيل الفعل المسيحي بدون التأمل. نرى أيضا إن مثل هذا التأمل ليس رؤيا الله لوحدها، لكن رؤيا عميقة يمكننا من أن نرى معناه السرمدي. التأمل هو رؤيا لا لله وحده لكن للعالم من خلال الله.

الكنيسة سر اللقاء

توجد ضمن الجماعة الإنسانية الشاملة جماعة لوحدها قادرة على الإحاطة بدعوتنا إلى التسامي. هذه هي الكنيسة، جماعة مختارة، أعضاؤها لا يختارون لإمتياز ولكن لواجب. قال لنا المسيح إنه كان يرسلنا مثل غنم وسط الذئاب وأمرنا أن نذهب. وفي مساء القيامة اخبرنا أنه كما ارسله الآب، هكذا أرسلنا. قال لنا إننا كنا مثل موطن سماوي على الأرض، كحالة رائدة في ملكوت الله تتبع جنود الله في المعركة لتحرير العالم من قوى الشرير والموت. الكنيسة يمكن تعريفها فقط من الخارج. في داخلها سر كونها في الله، سر الإلتحام، حضور ومشاركة. إنها ليست جماعة إنسانية تتحول إلى الله وتطيعه وتتمركز حوله. إنها جسد حي وهذا الجسد هو إنساني وإلهي. له صورة منظورة، نحن، وغير منظورة، الله، ونحن في الله، والله فينا. وباعتبار واحد كما يحدد مار أفرام السرياني الكنيسة هي ليست تجمع فقط، خطأة في الطريق نحو التوبة. انها تصرخ إلى الله عبر ألمها لحاجتها إلى الخلاص. وبصورة اخرى، إنها ليست ببساطة فقط في الطريق، بل وصلت. الله معها ولديها سلامه. طبيعتها معقدة ومعلنة من خلال الخطأة المحتاجين للتوبة والكلمة المتجسد، إله حق وإنسان حق. إنه يعطي كامل مقياس الإنسانية التي هي هيكل الروح القدس. الروح القدس يجعلنا اعضاء في جسد المسيح، ويوما ما سنكون كل المسيح الشامل، وبعبارة جريئة لأب الكنيسة أفرام ' الإبن الوحيد في الإبن الوحيد'. الروح القدس هو روح الله يعلمنا أن ندعو أب الكلمة أبانا.

الكنيسة هي الجسد السري الذي فيه نصبح من خلال الروح ما هو المسيح، بالضبط مثلما هو اصبح ما نحن. حياتنا مخفية بالكنيسة مع المسيح بالله. إن إتجاه الكنيسة الذي يجعله مختلفاً اساساً عن العالم هو الإتجاه الكشفي (الإسكاتالوجي). إنه ينتمي الى الزمان القادم. ذلك الذي بسببه روح الله حاضر في حياة الكنيسة. ذلك الذي بسببه نذكره في الصلوات الإفخارستية. الملكوت حاضر مسبقا في كل ما يستكمل. الله مسبقا هو الكل في الكل، بالضبط كما هو مسبقاً في الخبز والخمر. ولأن الكنيسة تعرف اموراً ليس

فقط في حزنها الحاضر ولكن في الكمال النهائي، ذلك لأنها تستطيع أن تقدم الشكر من خلال هذا الحزن والعالم البهيمي لأجل كل الأشياء. إنها تقدم الشكر كمالها الأواخري، لا لأجل حضورها الذي لا يغتفر بالنسبة للعالم والله. يجب أن نكون قادرين على التحول إلى الله من خلال خبرتنا وقولنا ' يا رب أنت عادل في كل ما تفعل، انت على حق'. والكنيسة تفعل هذا فقط لرؤيتها النهاية. إنها لا ترى فقط العالم المظلم بالخطيئة ولكن أيضا تسامي العالم، حيث تحضر القيامة والحياة الأبدية.

وهذا هو السبب الذي لا تميز فيه الكنيسة بين الحياة والموت. الله ليس إله الأموات بل الأحياء. لأجله يحي كل الناس، وكذلك هم للكنيسة. ضمن هذه الملاحظة الكشفية نرى الموت كرجاء وفرح عظيم بإنتظار الدينونة ومجيء المسيح. نستطيع القول مع روح الكنيسة 'تعال سريعا أيها الرب يسوع'. التاريخ والأبدية هما واحد في الإسكاتالوجية والإفخارستية. لا تتضمن صلاة الكنيسة اعضاء الكنيسة ولكن من خلالهم وبسببهم، وكل العالم. إنها ترى كل العالم ككنيسة كامنة، الكنيسة الشاملة التي لأجلها ترجو. وبالكنيسة وضمن هذا الإسكاتولوجي، كل الأشياء مسبقا تعمل معا. ولدينا علاقة حية بشركة القديسين والخطأة مع كل الأحياء والأموات.

ما معنى الصلاة لأجل الأموات؟ هل نسأل الرب انه عمل ظلماً؟ بالتأكيد كلا. بواسطة صلاتنا نحمل شهادة كون الأموات لم يعيشوا بالفراغ. نظهر إنه كما إن العديد من الأشياء الباطلة التي فعلوها بحياتهم هي أيضا بذرت بذرة المحبة. نصلي لأجلهم بمحبة وإمتنان، نتذكر حضورهم بيننا. وصلاتنا لأجلهم يجب أن تتعزز من خلال حياتنا. إن كنا لا نحمل ثمارا في حياتنا أو بما علمنا الأموات، صلاتنا لأجلهم ستكون عاجزة. يجب أن نكون قادرين القول 'انظر يا رب، هذا الشخص عاش وجعلني احبه، هو اعطاني امثلة لأتبعها وأنا تبعتها'. سيأتي اليوم عندما نكون قادرين على القول: 'الصالح الذي تجده بحياتي، ليس لي، هو اعطاه لي، خذه ودعه يكون لمجده، ربما بسبب غفرانه' هل تعلم الصلاة التي ارسلت بخصوص الشخص الذي توفي في معسكر الإعتقال الألماني:

"السلام لكل الرجال ذوي الإرادة الشريرة. دع الإقتصاص والعقاب والإنتقام يتوقف. الجرائم وصلت إلى حد لا يقاس، عقولنا لا تستطيع ان تستوعبهم. هناك الكثير من الشهداء...يا رب لا تزن تلك الآلام وفق مقاييسك للعدالة، ولا تدعهم يسجلون في سجل اتهامك كي يصلحون. كافئهم بطريقة أخرى. ائتمن المعذبين، المخبرين والخونة وفق روحيتهم وشجاعتهم القوية، وكرامتهم وصبرهم، وابتسامتهم ومحبتهم وقلبهم المحطم الذي لا يهب حتى بمواجهة الموت، حتى في اعظم اوقات الضعف...اجعل هذا بحسبانك يا رب لإعادة ارسال خطايا اعدائهم، كجائزة انتصار العدالة. خذ الجيد وغير الشرير بالحسبان. ودعنا نبقى بين اعدائنا غير محسوبين كضحاياهم، لا ككوابيس الليل، ولكن كأولئك الذين ساعدتهم للتغلب على جرائمهم. هذا هو كل ما نسألك لأجلهم."

لا تنتهي حياة كل واحد منا عند الموت على الأرض والولادة في السماء. نحن نطبع ختماً على كل شخص نلتقيه. وهذه المسؤولية مستمرة حتى بعد الموت، والحياة متعلقة بموت الذين نصلي لأجلهم. في الموت لا ننتمي كليا إلى هذا العالم، لا زال الموت فينا ينتمي للتاريخ. الصلاة لأجل الميتين حيوية، إنها تعبير عن حياتنا الكلية العامة.

القديسون

نحن نصلي لا فقط لأجل اشخاص محددين بل لأشخاص محددين. نصلي لمريم والقديسين. ولكن لا نصلي إليهم كي يتحول الله عن عدالته الصارمة لأنه نبيل. نعلم إن ارادتهم والله هي واحدة وهذا الإنسجام يتضمن محبة كل الأحياء والأموات. إذا كان صحيحا أن إلهنا ليس إله الأموات بل الأحياء، أليس من الطبيعي أننا يفترض أن نصلي لأجل أولئك الذين هم امثلة مشرقة لنا. نقدر أن نجد في القديسين واحدا يجذبنا بصورة خاصة. لا نصنع تمييزا جذريا بين أولئك القديسين وأولئك الذين ليسوا كذلك. جعل الله بعض القديسين متميزين كنماذج لكل المسيحيين، وهذا لا يعني أن الآخرين ليسوا

كذلك. ومن المناسب تماما لنا أن نصلي لآباؤنا وأصدقاؤنا المتوفين دون أن يكون ذلك كفرا.

صلاتنا لمريم مهمة بصورة خاصة، إنها أقرب إلى المسيح من أي إنسان، لا لأنها ولدته، ولكن لأنها كانت حقا أمه ليس جسديا فحسب بل روحيا. عندما نصلي إليها يفترض أن نتذكر أن خطايانا سببت موت المسيح على الصليب وهي أمه. لذا نستطيع الصلاة إليها وكما يلي: ' أماه، أنا قتلت إبنك، فإذا غفرت لي، لا احد سيدينني.' هذه تعبر عن إيماننا بمحبتها.

الصلاة الطقسية

الآن يجب أن نقول كلمات قليلة حول الصلاة الطقسية. هذه الصلاة التي تتلى دائما في الكنيسة، ربما تبدو بحاجة إلى التلقائية. إنها بالتأكيد مركبة بصرامة، لأنها تهدف ليس فقط كي تعبر عن تلقائية مجموعة بشرية، ولكن أيضا كي تثقفهم. إنها أيضا تعبير عن الجمال، لا فقط الجمال الموجود ولكن ما يمكن أن يكون، وما يتمناه الله. نستطيع مناقشة عدة تفاصيل عن طقوس الكنيسة الأرثوذكسية (هنا يذكر الكاتب الكنيسة الأرثوذكسية لأنه أرثوذكسي –المترجم)، وعملها، وايقوناتها، وقراءات الكتاب المقدس. الطقوس هي مدرسة روحية، إنها حالة مرافقة لله والعالم من خلال الله. لديها تلقائية تذهب ما وراء التلقائية الحقيقية لكل عضو من أعضائها. إنها التلقائية المقدسة لملئ الجماعة وبواسطة الله. من خلال الأسرار نقترب وجها لوجه مع الله ليس فقط من خلال الكلمة ونعمتها غير المرئية ولكن ايضا من خلال الأشياء المرئية. إن ماء العماد يصبح ماء الحياة وماء الوعد الذي ذكره المسيح للسامرية كما ان الخبز وعصير الكرمة يصبحان جسد ودم المسيح، نحن نرى مسبقا اليوم الذي فيه يصبح الله الكل في الكل. بالكنيسة نرافق الله والعالم من خلاله. يلزم المسيحيون أن يلتقوا العالم ايضا بكل حزنه وأن يخدموا مثلما صار إبن الله انساناً. يجب أن يدخل ضمنا في

هذا التجسد، إنه جزء من الإنسانية وفيها صلاته تصبح شفاعة والشفاعة تصبح الذبيحة على الجلجلة.

هناك شدّ بين رفقة الله المصحوبة بالنشوة وحضورنا في العالم. من المستحيل عيش حياة الهية كلياً دون خسارة التماس مع الحياة الأرضية. "هذه"كما يقول اللاهوتي سيميون Symeon هي: ' السعادة لا نحو الكمال ولكن نحو البدايات.' الفكرة هي اتحاد كامل بين الإثنين، حيث الإنسان الكلي ياخذ جسدا ونفسا وروحا مثل ربنا يسوع المسيح، مثل القديسين. منفصلا عن العالم ومتحررا من الصراع واللامصداقية، تحصل النفس على الوضوح والقوة قبل أن تكون معروفة لديها. الشعور الشديد، الحار والصافي جدا. الإنفصال عن العاطفة والإنفعال، النفس لها القوة والنور. العواطف تحجب الفكر، ولكن في هذه الحالة يكون الفكر واضحا جدا. إنه واع وحر كليا – لأن النفس ليست مجهولة على الرغم من إنها متحررة من الإنشغال و مستسلمة لله- إنها سيطرة غير كاملة، فأما أن تحافظ على الهدوء أو تصلي بفعالية. احيانا كلمات الصلاة تبرز تلقائيا من القلب والعقل، واحيانا اخر هناك صمت عميق. إنه يبصر النور الإلهي غير المخلوق، أسرار العالم والنفس الذاتية والجسد (من اقوال القديس اسحق النينوي مقتطفة بواسطة نيل سكورسكي، Testament spiritual sur la vie des skits.)

كل صلاة حقيقية التي عملت بتواضع واستسلام لله هي عاجلا أم آجلا مكتنفة بواسطة نعمة الروح القدس. هذه النعمة تصبح قوة خلف كل فعل وبالتالي كل ما في الحياة. إنها تتوقف عن كونها فعالية وتصبح كياننا الحقيقي، حضوره فينا ذلك الذي يملىء كل الأشياء ويقودها إلى ملئها.

القسم الثاني

يا رب إبقى معنا

كيوركيس لوفيبغ

المدخل

يا رب ابقى معنا

’ قال لي معلم مرة وربما كان على حق، إن كل واحد له صلاة سرية ترافقه ولا نعلم من اين جاءت، لكنها تضغط على كل واحد للصلاة على طاقته وبالطريقة التي يعرفها.‘ سائح روسي

إن الناس مضطربون احيانا هذه الأيام بشأن الأشكال التقليدية للتقوى وذلك لإتخاذهم نهجا مستقلا جداً، وهل إن غموض الكلمة هي المسؤولة بشكل جزئي عن ذلك؟ إن هذا هو ما يوضح استقلاليتنا الشخصية الفردية ويغلقها تجاه بقية الناس. هذا هو التضاد الأساسي في السر المسيحي، سر الإتحاد الذي يبدأ في الثالوث والظاهر بجسد المسيح حيث نحن اعضاؤه الواحد للآخر. لذا كان بإستطاعة الشنجر[4] Mgr Elchinger أن يقول للمجمع الفاتيكاني: "إن النظرية الفردانية (أو الشخصية الفردية Individualism) بدعة.”

في إيقونة الثالوث نرى إن الثلاثة في علاقة الواحد مع الآخر، وهذا يعني إن كل شخص خلق كي يكون بعلاقة مع الاخرين وها هو الطريق الوحيد

---

[4] **اسقف سترازبورغ ولاهوتي تأمل في وثائق الفاتيكاني الثاني (المترجمان)**

للتطور لكل شخص، اما عند التوجه نحو الحياة الفردية فهناك العزلة، نصبح اشخاصا عندما نعمل علاقة مع الاخرين.
لكن الحقيقة إننا نستطيع اللجوء للآخرين من خلال اللجوء إلى الله، ففيه فقط تكون علاقتنا مع الآخرين قد بلغت عمقها المناسب. كي نحب الآخرين ونحترمهم كما تتطلب المحبة، يجب أن نعترف بعلاقتهم الخاصة مع الله. فالله يدعو كل شخص بمفرده ويضع الشوق في قلبه، ذلك الشوق إلى الله الذي هو امنية حقيقية لكل شخص، ولكن قبل أن نشاهد ذلك في الآخرين علينا أن نجدها في أنفسنا.

كي نؤمن بحضور الله في كل الحياة الإنسانية وبدون أن ندع ذلك جانباً، علينا أن نجرب بدهشة محبة الله الخالصة لنا، وعدا ذلك سنكون خونة. يلزم أن نكون قد تعلمنا كيف إن محبة الله حاضرة عندنا في المحن حيث لأجل محبته للإنسانية بذل إبنه عنّا. إذا رغبنا في مشاهدة جارنا كما نريد فيجب علينا أن نشاهده كما هو في عيون الله وعند ذلك فقط يمكن أن نحبه، لهذا من الضروري أن نرى انفسنا في عيون الله. حينذاك نستطيع أن نحب بتلك المحبة القادمة من المسيح، المحبة المختلفة عن جميع حسنات الإنسان الجيدة وذلك لإحترامنا جارنا وعلاقته مع المسيح حتى إن لم يعرفه لأن المسيح يعرف كل شخص وهو حاضر في كل حياتنا. هكذا يمكن أن نكون شهودا لمحبة المسيح بالإعتراف بوجوده في حياتنا. نحن شهود لمحبة المسيح بالإعتراف بوجوده في حياتنا ونحن شهود لمحبة المسيح ويجب أن نشهد على البهجة التي يجلبها لنا: حرية الإيمان المفرحة الواثقة بهذه المحبة والذاهبة اينما تقودها غير متأثرة بأي اهتمامات للنفس، حرّة من الـ "أنا". فرح وحرية يجعلاننا مقبولين عند الآخرين.

يجب أن تكون فينا عفوية الرجل المتألق بواسطة الله الخالية من الهموم تقريبا' والتي تتطلب الإيمان الحي، ' وهكذا إيمان يتطلب التذكر واستحظار الله ' (فرانسواز ستوب، من أخوة تيزيه). كي نحمل شهادة للمسيح ونساعد الآخرين ليعترفوا به ويجيئون إليه. وهذا ما ندعوه بالصلاة. ما هي الصلاة وكيف نصلي؟

غالبا ما يقول المسيحيون الذين يريدون أن يجعلوا الصلاة مركز حياتهم إنهم يريدون نصوصا ليس فقط لتوضيح ماهية الصلاة ولكن نصوصا يصلون بها وهذا ما تتضمنه الصفحات التالية حيث نقترح بعض الصلوات الخاصة في حضور الله، وهذا هو السبب كونها متكررة غالباً، ترجع إلى ذات الأفكار باشكال مختلفة كمحاولة للإقتراب من سر الله والعيش بواسطته.

1
لست لوحدك أبداً
فقدان الذات

الصلاة هي نهاية العزلة، وبها نعيش حياتنا اليومية مع الآخر. إنه وحده يمكن أن يسعفنا من العزلة. هو الوحيد الذي يمكن أن نجده في قلوبنا ونخبره عن كل شيء في داخلنا. هو دائم الحضور وبحميمية، بالصلاة ندرك حضوره الذي لا توجد احتمالية إدراك ذلك إذا لم نعير أي اهتمام به. إنه حضور حي، وبحضوره نحصل على كل شيء. نعتمد عليه بصورة أساسية، ونكتشف حضوره بيننا، كما نصبح مدركين إعتمادنا عليه، لهذا يجب أن تكون الصلاة موقفا متواضعاً، ولكن ليس المقصود تواضع النفس على اعتبار خاصية طاقتنا وضعفنا، ولكن التواضع البهيج بسبب قرب الله منا.

تكتب القديسة تريزيا الأفيلية في الذكرى الثامنة لمراجعة حياتها الروحية أنها تشعر 'بفقدان ذاتها جزئيا'، فهل يشعر أي واحد منا أنه حقا يصلي هكذا؟ من لا يصلي فذلك يعود لنفسه وإلى حياته الخاصة. إنه متمتع باستقلالية وهو مسؤول عن نفسه ويحاول الوصول إلى هدفه بجهوده الخاصة. من يصلي يعرف أنه بحاجة إلى الآخر ويدرك تدريجيا كم هو يحتاج هذا الآخر الملتفت إليه بالصلاة وكيف إنه لا يستطيع العيش بدونه، وكيف لا يمكنه العودة إلى آخر عداه لأنه صار كل حياته. إنه يتجرد عن

نفسه بشكل جذري ويشعر أنه قد 'فقد نفسه جزئياً' وهي ليست ملكه كما كانت، وإن كنـزه يعود إلى شخص آخر.

كل شيء فيه الآن منفتح إلى الآخر وجاهز للآخر وينتظره. وبهذا الإنفتاح على الآخر فإنه يتخلى عن إستقلاليته لإيجاد الحرية الحقيقية: حرية الإيمان بالمحبة التي نتوقع منها كل شيء ونعرف إنها تملك كل شيء. في مركز الصلاة يجب أن يكون إيماننا في تلك المحبة التي خلقنا من أجلها والتي تعمل فينا عملها الخاص وتقنع الرغبة بكونها أعطيت لنا. لذلك فصلاتنا الخاصة لا تعود لنا. لدينا فقط الإيمان بتلك المحبة التي لن تخيب مهما كانت خدمتنا سيئة حيث يبقى إيماننا حتى وإن كنا بحالة الفقر أو الضعف. ليست لدينا مشكلة لعدم وجود شيء لنا لأن هذه المحبة يمكن أن تهب لنا كل شيء. هي حاضرة تعمل في قلوبنا الخفية، ننظر نحوها. إنها سبب رجائنا وبدونها لا يمكننا الرغبة في شيء، فرغباتنا هي فقيرة وضعيفة جدا. يمكننا فقط إنتظار الرب ليعمل فينا. ''تعال وساعدني لأني وحيد وليس لي غيرك يا رب''(صلاة أستير).

الشركة

تحيا الصلاة فينا كشركة مع الرب. هل نفهم ماذا يعني ذلك حقاً؟ لأن الآخر يبقى آخر بالنسبة إلينا مهما كنّا قريبين. بالشركة الحقيقية نقترب جداً من الآخر الذي نعرفه. إنه مهم لنا كثيرا ونحتاجه اكثر من أنفسنا لنكون انفسنا ولا يمكن أن تكون العلاقة الحقيقية بين الأشخاص مواثيق خارجية لا يمكن تبديلها. إن العلاقة الإنسانية الحقيقية بين شخصين تمكّنهم أن يدخلا كّلا منهما في الآخر دون فقدان هويتهما.

هذا يساعدنا أن نفهم الشركة بين الأشخاص الثلاثة في الثالوث، وهو يرينا أنه لا يمكن أن تكون هناك علاقات شخصية حقيقية بدون الله أو بدون الرجوع إليه، وأن ندرك أننا فيه ومن خلاله وإن لهذه العلاقات الشخصية حقيقة عميقة يمكن أن تأتي من الله فقط، ونعرف إن إنشودتنا الروحية تكون بالمشاركة معه أي يكون الواحد في الآخر ونعرف الله قبل أن ندركه في

أنفسنا. لهذا فالصلاة ضرورة شخصية، ولا يمكن أن تكون النعمة الإلهية غير شخصية. إنها قبول شخص ما. شخص نعيش معه، ولديه خطة ينجزها بنفسه بصبر ومثابرة ومحبة خالصة.

الله موجود قبلنا والصلاة لا تخلق حضوره ولكنها تجعلنا واعين لذلك. كم نعيش احرارا في حضوره إن كنا نؤمن حقاً. إنها تصبح ملموسة بطرق قليلة، ولكنها ليست برهانا بل بالأحرى دعوة للإلتفات نحوه، فيجب أن نؤمن وأن نكون قد قدنا للإيمان ببساطة اكثر واكثر وأن نظهر هذا الإيمان من خلال التسليم.

إنه أقل أهمية أن نكون واعين هذا الحضور من أن نقبله. يفترض قبولنا لرعايته من حيث أننا لا نملك شيئاً. هذا هو القبول الحر للمحبة. نحن نقبل أن نكون في ومن خلال الآخر.

في حالتنا المتواضعة

لقد اتى الله إلينا عبر التجسد بمشاركته حياتنا. إنه حاضر عندنا إنسانياً ونحيا معه. يفترض أن نتعلم ونعترف بهذا السر الإلهي الذي اشترك معنا بشكل إنساني أخذه منّا، فيجب أن لا نطلب ' ما وراء ذواتنا'. فالتغيير هو في ذواتنا من خلال حضوره والإيمان به والإنتباه إليه. لقد تصالحنا وحررنا وكل شيء يكتسب معنى عميقا ومركزا. نتضرع إلى الله من أعماقنا ومن الحقيقة الكامنة فينا، ولهذا فإن هذا الطموح مختلف لدى كل واحد عن الآخر. ونعتبر الله في كل ذلك كما في اعماق نفوسنا حيث لا نندهش بسبب ظلمة السر الإلهي. نحن نقبله ببساطة وبغض النظر عن عدم رؤيتنا للخطة، ولا نعرف ما هي قوة المحبة التي سنظهرها عندما نعمل هذا. إذا رأينا بوضوح سندرك حضور الله ببساطة قبل أن نكون مدركين لأنفسنا. وبسبب حضوره نكون نحن كما نحن كلياً. لا شيء فينا يستطيع أن يحيا في أعماق قلوبنا بدونه، وإن إدراكنا لحضوره يجعلنا مطيعين له طبيعياً.

يجب أن نعيش حياتنا كلها بحضوره، مدركين أننا لا نعود لأنفسنا بل لمحبته. نحن بثقة في يديه ببساطة وفرح تلقائي. مع إن معرفتنا بقلوبنا الخاصة قليلة فإن هناك شيء ما فينا ينظر إلى الله ونعمته يجب أن نعرضه إليه ببساطة ويجب أن نعلم أنه يحملنا في أياديه، يجب أن نعمل ما يريد وأن نتركه يقودنا ويكوّننا ويجعلنا نعمل حسب رغبته. هو لا يظهر حضوره بأية علامة واضحة، ولكننا نعرف أننا لا يمكن أن نحيا بدونه. يبقى عهدنا معه دائما وبغض النظر عن شعورنا بالملل الفارغ والتعاسة فالرب حاضر فينا وفي عملنا ويجب أن نثق بحضوره ونأتمنه ونتركه يتولى كل شيء عنا.

يجب أن نترك الرب يتمم عمله فينا في الطريق الذي يختاره هو والوحيد الذي يمكن أن يعمل هذا، ويجب أن نقبل كل شيء يأتي منه، يجب أن نؤمن بحضوره ببساطة وبشكل مفرح ولا يمكن أن نشك في محبته، بل يجب أن نترك فرح حضوره تهدئنا حيث لا يمكن لمحبته أن تفشل.

2

المحبة المتواضعة بالإيمان

تعبر صلاتنا اكثر مما نشعر بها وهي الإرتباط والتوافق على ما نحن فيه مع المسيح وكل ما يتضمن ذلك. في الحقيقة إن ذلك هدية الله في المسيح وبالمشاركة معه، فيلزم أن نقبله كهدية. يجب أن نحيا بتلك الحرية التي هي تمييز تلك عطية المحبة التي بها ما نحن عليه، يلزم أن نرى كل شيء يحدث لنا في ضوء حياتنا في المسيح وبهذا سنفهمه بشكل صحيح. أن نقبله بوداعة مؤمنين وقابلين السر. إن ما هو في المسيح هو مخفي عنا، ولكن نأتي اليه بفعل الإيمان والمتضمن وسندنا الثابت في إيمان الكنيسة الذي نشترك به.

في ضوء هذا الإيمان يمكن أن ندرك ما يخمنه قلبنا ويحيا بواسطته خلال المحن. يفترض أن نكون شهودا متواضعين لما يعمله الرب فينا. إنه يسمح لنا أن نخمن ونلمح ما هي رغبته. وإن تاكيد الإيمان يصنع هذه المساندة والراحة والفرح وهو الشيء العميق فينا والذي يبقى الضرورة الأولى لنا وأن بدا كل شيء فارغاً. هذا الإيمان المؤكد بالله يمنح لنا الحرية نحو أي شيء آخر؛ حيث يبدو بحضوره نسبيا أساسا. الحرية المفرحة، حتى عندما يبدو كل شيء فارغا فإننا واثقين إن الرب هناك. هو لن يفشلنا مهما كنا سيئين. يجب أن نعيش هذه الحقيقة ببساطة حيث سندرك حقيقة حضوره اكثر فاكثر ونشعر بمتعة وجوده بيننا.

نعلم بوجود احد ما هناك ونعرف ماذا يقصده لنا. المسيح حاضر بسلام – إنه يملىء عمق رغبتنا- وهذا السلام هو إيماننا به. وهو ما يجب علينا أن نطلبه وربما أن نتقيد به كذلك، وبصعوبة لا نقبل ' شيء ما' يكلفنا كثيرا، ولكن أن ندع أنفسنا مقادة من قبل ' أحد ما' بمحبة وثقة. يجب أن نكون مطيعين حيث يقودنا.

كن متواضعا مع الله

إن الإيمان هو ادراك للسر وإستسلام أنفسنا لكماله. الإيمان هو التواضع، والرب حاضر في قلب كل حالات التواضع. ويمكننا أن نشعر بهذه الحقيقة عبر عيشها. بصمت الإنتباه المتواضع والإحترام والإحساس بالكمال اللامتناهي لله. التواضع يعشر ذاته أنه بإنسجام عميق مع هذا الكمال. وبهذا الإنسجام تجد ذاتها ببطء إن الكمال هو أيضا سر التواضع، الله محبة.

يجب أن لا نكون فقط متواضعين 'امام' الله. ولكن بشكل أساس اكثر أن نكون متواضعين 'مع' الله الذي يأتي إلينا في السر الذي هو سر التواضع وليس لدينا إله آخر سوى المسيح. ' من رآني فقد رأى الآب' (يو 14: 9).

المسيح في جميع كلماته واعماله كانت حياة وعمل إلهنا، بالكامل. إلهنا هو المتواضع الرحيم والضعيف بين الرجال والمتألم معهم. هو المسيح بيننا ومعنا. هو الله الذي ظهرت قدرته الفائقة بسر الصليب وسر التواضع والفقر والضعف الذي به يظهر لنا محبته الفائقة التي هي اقوى منا حيث يهزم مقاومتنا ويتغلب على خطيئتنا. هو شخصيا يضمن علاقة محبته معنا. إنه يعيش معنا وضمن احوالنا.

كما شارك حالتنا الإنسانية مرة على الأرض، هو الآن يشارك كل فرد منا ويشارك حياتنا حقاً من خلال محبته، فلا مجال لأن نبقى هامشيين في المحبة التي تتطلب الحياة الجماعية والشركة والتضامن. إنه يحيا فقرنا وبؤسنا عبر هذه المحبة الأخوية. إنه لا يلقي نظرته الرحومة علينا من بعيد، بل يجمعنا ونحن بطريقنا ورحمته تشارك بؤسنا وحياتنا كلياً.

يفترض بنا أن نرى الآخرين يعيشون هكذا مع المسيح، ويفترض أن نحترم حضور المسيح في حياتهم اليومية. يفترض أن نحب حتى عيوبهم لأن المسيح حاضر فيهم أيضاً. هذا هو مصدر الصبر الذي هو محبة أيضا. التواضع هو السر النهائي لكمال الله لأنه مملوء من طيبته ومحبته. الله متواضع قريب بشكل لا متناهي، ومن وجهة نظر تواضع الله يكون للتواضع معنى. الله المتواضع موجود ببساطة وقريب من صلاتنا السرية.

ان الرب خلفنا بشكل لا متناهي ولكنه قريب ايضا بشكل لا متناهي، لهذا يمكن أن يكون حضوره سريا وحميميا. يجب أن لا نرضى بأقل شيء غير الله، ولكن يجب علينا أن نجده في صلاتنا المتواضعة والأكثر سهولة. يجب أن نكون متواضعين امام الله الذي يهديء ويرضي كل امنياتنا. نستطيع النظر الى الله ببساطة تماما وعلينا أن نضع أنفسنا كاملة في هذه العلاقة التي نوجد من خلالها فقط.

الحاجة للآخر

لا بنظر الحب فقط نحو شخص ما، بل يعيش معه، ويشارك حياتنا وكل أسباب عيشنا مع الآخر وحتى المشاركة في الوعي بذاتنا، إنه يصبح متلازما. الحب يشكل رابطة قريبة جدا بحيث يتغير عمق كياننا إذا لم يكن الآخر موجودا. لا نستطيع رؤية انفسنا إلا في تعابير الآخر، لذا لا نعد حقا ملكا لأنفسنا. نحن نجرد جذريا من تملك ذاتنا لأننا لا نعرف أن كل شيء لنا هو بالعلاقة مع الآخر، وبالشركة معه حيث لا يوجد شيء عدا حضوره.

هذا الحضور يمكن أن يكون مظلما ولكنه يجب أن يبقى حقيقتنا الأعمق وإلا نموت. عدا ذلك لا نستطيع العيش، إن فقرنا أساسي جدا بحيث يجب أن يكون صرخة نحو الله. الله لا يقدر أن يكون غائبا عنا بصورة مجردة، ففقرنا نفسه يتكلم عنه ويسكن فيه.

تبعدنا الصلاة عن كل الأشياء التي عندها لا نجد ما نسعى إليه. ننتظره ونرجوه لأنه هو الذي يستطيع إقناعنا، نلتفت إليه ونبقى بحاجة ماسة إليه. ننفتح له ونتضرع إليه كي يحقق ما في قلوبنا يوما ما وهو الذي حاضر في رجائنا. نستطيع فقط أن نخمن ما يمكن أن نعمله ونشتاق إليه. إن إنفتاحنا إلى الله هو نعمة وعطية يجب أن نقبله كما يبدو وأن نعيش معه ببساطة. نحن واعون لهذا وننتظر بشوق كبير. على أي حال فإنه بهذه الهدية نكون كلنا كما هو حالنا الآن. إنها حقيقتنا الوحيدة والعميقة وإن عطية عيشنا بالصلاة ستكون واحدة من الهدايا التي سنحصل عليها للعيش في السماء. إنها الحقيقة الحية ذاتها مثل البذرة التي تحتوي الثمرة. لذا فإن صلاتنا المتواضعة تتضمن الكمال الخفي. إن المديح الجدير الوحيد لله هو أن نكون جميعا معه ومن خلال المحبة المشتركة. هذا هي الفرح الممتلىء من الله والمتجه إليه.

3

المعرفة لأجل الإيمان
هو الذي يحبنا

إن معنى امتحاننا الزمني هنا هو ليس حصولنا على فرصة لكسب جائزة ما ولكن لنتعلم كيف نحب وأن نتمكن من أن ندخل في علاقة محبة حقيقية مع الله برد شخصي حر حقاً. لا يحفضنا الله في المحنة لأنه يرغب أن يبتعد عنا ولكن ليقودنا للمشاركة الأعمق مع ذاته من خلال التواضع.

يجب ان نثق بالرب، أن ندعه يعمل وباستطاعته استخدام الظلمة ليقودنا الى سر حضوره أيضاً، كل حضوره هو لنا حيث يمكن التعبير عنه بموقف انتظار بسيط. نصرخ لشخص ليس بعيدا جدا ولكنه حاضر بنفسه في صراخنا، هو هناك ويمسكنا بنفس الوقت، وحضوره اقوى من الظلام. الصلاة هي لأجل أن نحيا على مرأى منه، هو الذي بمحبته يجعلنا على ما نحن عليه. يجب أن نطيعه. نصرخ إلى الرب الذي يحيا في أعماق قلوبنا وهو واحد مع عمق كياننا. يفترض بنا أن نصغي إليه فقط. إنه اشبه بالإصغاء إلى الصمت. صراخ صامت وبسيط ومسالم، فعل إيمان.

هذا الصراخ ليس فقط الرغبة العميقة لقلوبنا، ولكنه جواب لعطية الله ما وراء تخيل قلوبنا. يرينا كل شيء نجده في أعماق قلوبنا كيف أننا محبوبون. يجب أن يكون لدينا إيمان بهذا الصراخ والعيش بواسطته، من خلال كل الصمت. تنال سلامنا وثقتنا العون بواسطة الإيمان بمحبة المسيح. يجب أن نؤمن بمحبته حقا. فلا نستطيع العيش بدونها ويلزم أن نُشعر أنفسنا بإنسجام مع المسيح.

يجب أن نكون أي شيء ضمن فعل الإيمان والذي يضع كل ذاتنا بيديه، وهو السبب الوحيد لحياتنا. الصلاة تصنع كل الإختلافات. لم نكن واحداً إن لم نكن قد ملكنا في قلوبنا الوعي بكوننا في يدي الله. يجب أن نعير الإنتباه لله، ليس فقط بالفكر ولكن بشكل أعمق بكل ذواتنا. هذا الموقف هو تماما بسيط والرب سيرى عمق الرغبة في أن نكون حاضرين له وتحولنا إليه ورجاؤنا المتواضع. يجب أن نؤمن بقوة سر النعمة التي تحملنا وتهتم بمنحنا ذواتنا وانفتاحها على قدر ما نتمكن. يجب أن نشعر أننا قريبون لأي شخص لم يستلم بعد لنعمة الإيمان ولكنه لا زال بيدي الله الذي يبحث عنه دون أن يعلم. السر هو حقيقة معاشة. إنه حاضر ودائم الوجود في التاريخ

الإنساني وفي حياتنا وحياة جيراننا. إنه المسيح الحاضر والفعال بقوة روحه في الإنسانية جمعاء وفي كل الأوقات. فكل شيء يقتات فيه ومن خلاله، لإنه يحمينا.

تواضع الإيمان

تواضع الإيمان هو تواضع حقيقي وفقر بسيط. إنه فقر عادي. فالتواضع هو الطريق الوحيد الذي يمكن أن نظهر فيه صغرنا وضعف قوتنا في نظر الله. يحتمل إن تكون العلاقة التي تضعنا في حضوره هي سلام وتواضع عميقين وربما سيقودنا هذا التواضع الى السلام.

فيكفي عندما لم نعد نرغب بذلك، أن نعرف إن أحداً ما له خطة لنا وهو موافق عليها. يمكننا أن نحيا فقط بفعل الثقة الذي يتجدد بشكل ثابت وهذا يجعلنا ندرك قربنا إليه فهو رجاؤنا الوحيد. إن العيش في هذه الحالة من الثقة والإعتماد الكلي يجعلنا نبذل أنفسنا. إن كل شيء في حياتنا يعود إلى الله والله وحده، ولا شيء يعود إلينا. إن العمل الذي يعطينا لنعمله يعمله بواسطتنا. يجب أن نتركه يعمل كل شيء يفرحه. يجب أن يعود كليا إلى الرب حيث نصبح مدركين له اكثر فاكثر، وعندما نثق به ونفهم عمل ايماننا أكثر فإننا بذلك سنهب انفسنا له. إن فعل إيماننا يقودنا للمشاركة اكثر والأقرب مع المسيح، ونكتشف معنى إيماننا بالحياة من خلال تسليم الذات واكتشاف ماذا يعني المسيح لنا وما معنى أن نضع أملنا به.

أعطيت لنا الحياة كي نتعلم ونؤمن. يفترض كل شيء يحدث مهما يكن مزعجا أن يقوي إيماننا اكثر مهما كانت صعوباتنا وخوفنا من الضياع لكن يمكن أن نكون واثقين أننا على الطريق الصحيح إذا فهمنا بوضوح اكثر فأكثر ماذا يعني الإيمان. الرب يعمل عمله فينا، وإدراكه لفقرنا هو اختبار للكمال اللامتناهي الذي بحضوره يجعلنا نشعر بفقرنا. وحتى في فقرنا يمكننا أن نضع ثقتنا الكاملة في كماله. إن ثقتنا في محبة الله يجب أن تكون ثقة في رحمته أيضا. ويجب أن نقبل خطته التي هي رحمته وأن نرى فقرنا في ضوء رحمته وأن ندين الآخرين في ضوء هذه الرحمة أيضا. إذا لا

يمكن لشيء أن يمنعنا من المحبة، هذا هو الطريق الوحيد الذي يمكن أن ننظر به إلى الله بثقة وبساطة العيش وبشكل حر.

مع المسيح

يجب أن يكون لدينا الإيمان بسر حياتنا في المسيح حيث جُددت تلك المشاركة معه بشكل ثابت في الإفخارستيا التي يمكن أن تصبح حقيقة مألوفة ودائمة الحضور في حياتنا. ما هو إدراك المسيح الخاص لبنوته؟ ألم يشارك أيضاً في شركة ضعفنا الإنساني؟ لدينا فقط المعرفة الناقصة والملائمة لحالتنا الدنيوية ولحقيقتنا العميقة الخاصة ومن نحن من خلال شركتنا مع المسيح. ألم يأت قريباً منّا لأجلنا كي يكون قادرا أن يشعر بذلك النقص بكونه أيضا معنا؟ ذلك يجعلنا اعضاؤه أيضاً ونستطيع أن نحياها بواسطته؟

عندما نكون في المسيح نصبح واعين بالمشاركة بثقته الخاضعة لإرادة الآب: ' طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله ' (يو 4: 34). إن حالتنا الإنسانية هي أساسا حالة محنة. يجب أن نقبل هذا ولكن أن أعطينا احداً الرجاء به، فلقد أعطيناه المسيح.

4

معرفتنا بأننا محبوبون
محبة مدهشة

تصبح صلاتنا بسيطة حقاً عندما نفهم اكثر بأن الله وحده يعمل عمله الخاص فينا. عندها يصبح الصمت البسيط موقف إيمان وتواضع، ننظر ببساطة نحوه، ومنه ننتظر كل شيء. ندرك أكثر مدى تبعيتنا كلما ننمو في البساطة، ونعرف كيف أننا فقراء، دعونا نقدم لله شوقنا المخلص بعرض أنفسنا وكل الأشياء التي نحن عاجزون عن التخلي عنها لأنه سيأخذ ما

نجهل كيف نعطيه ومن ثم يجعلنا بسلام. نعود إلى الله وبين أياديه، وهذه هي أرضية رجاؤنا. لا شيء يمكن أن يحطم هذا الرجاء لأنه خارج عن نطاق الرجاء الأرضي. يفترض أن نتعجب من كون الله يحبنا. كيف يمكن لهذه المحبة العجيبة أن تفشلنا؟ يفترض أن يكون لنا تواضعا لنرى بؤسنا مهما كان عظيما ولا يمكن أن يكون ذلك عقبة بإتجاه قوة الله.

كل شيء لدينا هو من الله. لقد جعلنا بإرادته ما نحن عليه الآن، فأعماقنا تعبر عن ماذا يعني الله لنا، إنها نعمة الخلق التي بها كوننّا طبقاً لخطته وخطة محبته. فكل شيء فينا ينغمس في هذه النعمة ويأتي من هذه النعمة كل شيء فينا لان محبته حاضرة في جميع الأشياء.

يمسك المسيح أمنياتنا ويأخذها بنعمته، فيجب أن نتعلم كيف نعرفه من قلب رغباتنا لأنه وحده يستطيع إقناعهم. يجب أن نرجو ذلك بكل بساطة.

المحبة هي امتلاك

يجب أن نختبر ذواتنا كمملوكين لشخص آخر. ربما نكون فقراء أو أشراراً ولكن نستطيع أن نتذكر ببساطة تماما أننا نعود إلى الله الذي هو حقيقتنا العميقة، هو شفاؤنا ويجب أن نقبل كوننا لسنا متأكدين من ذواتنا. إن رجاؤنا الوحيد في عدم الأمان هذا هو ضعف الإيمان بمحبة الله ذو الرحمة الإلهية غير المتناهية. تقول القديسة ترازيا الأفيلية ' يجب أن نبقى وحيدين مع الله الذي به نعلم أنه قد أحبنا وننسى ذواتنا'. يجب أن نؤمن بمحبة الله وثقته. نعلم أننا بين يديه ولذلك لن يفشلنا ومهما نصلي بضعف فهو لن يفشلنا. علينا ان نصلي كي نؤمن بمحبة الله لنا. وصلاتنا لا تُعتبر على ما نكون في نظر الله ولكن بشكل ثابت على إيماننا في ما هو لنا. فيمكن أن نصبح بسطاء في الحياة الروحية الى حد ما كي نثق بمحبته – سر هو ما وراءنا حيث ان كماله هو رجاؤنا غير المحدود. الله قريب منّا ويشارك حياتنا حقاً. أليس هذا مدهشاً؟ كيف يمكن أن نفهم ذلك إن لم يكن كمحبة لا متناهية- إنه تواضع الله الحاضر لجعل عظمته في علاقة محبة حقيقية مع ضعفنا.

بساطة الإيمان

فقط الله العظيم يمكنه أن يكشف نفسه بالبساطة. يفترض أن لا نكون متعجبين اكثر ببساطة الصلاة من بساطة الخبز والخمر التي اعطاها لنا كعلامات لحضوره. وهذه البساطة شيئ ضروري حيث يعلمنا أموراً عن الله والعلاقة التي يريدها كي تكون معنا. مواقف بسيطة جداً هي: التواضع والإحساس بالآخر والثقة والسلام الداخلي والإحساس بأننا لسنا وحيدين. بالحقيقة هي مواقف بسيطة ولكن لها كثافة وعمق تمتدان إلى ما وراء قلوبنا. ليس لهذه المواقف معنى إلا في ضوء الإيمان وهي تعبير عن حقيقة كياننا. ولكي نحياها يعني أن نحيا حقيقة إيماننا لنصبح شاعرين بها كحقيقة مجربة. فما يخبر الله لنا بالمسيح وماذا نسمعه من الكنيسة ضمن جماعة الإيمان ليس جوابا تقريبيا لصلاة القلب. إن صلاتنا قد اصبحت ما هو في ضوء الإيمان. إنه إدراك بهذا الإيمان يمكننا من أن نعيشه، ويحتمل هو مؤكد هو أو غير مؤكد وربما لا نفهمه ولكننا نعلم أنه هناك.

إنه يكمن في عمق أعماقنا حيث لا نستطيع إدراكه ونعيش بواسطته، إنه نداء لحضور الله أو ربما اكثر مما نعلم، وهو البهجة المفرحة بحضوره. إنه في هذه الخبرة العميقة الباقية ضمن الصمت والظلمة. صمت هو صمتنا الداخلي، تماما كما هو. فأن نبقى فيه يعني أن نبقى معه وهو الدائم معنا. وعندما نعلم أن احداً ما هو هناك صامت ويسمع كما يقول يوحنا الصليبي ' ماذا تعمل الروح؟ إنها تمارس ما عُمل لها أي استمرارية المحبة للإتحاد مع الله'.

المحبة التي توحدنا

نعلم أنه قد أحبنا بطريقة شخصية عميقة، وبطريقة ملكتنا كليّاً. لهذا نستطيع الإيمان به. وليس هذا إمتيازا يضعنا جانبا- أو يجب أن نشعر بأننا لسنا

جديرين به- إنها المحبة التي توحدنا. هذه المحبة الشخصية لكل واحد منا لا تنحصر في أحد. إنها للآخرين أيضاً. إنها صورة السر الذي به نحيا معاً بشركة في طريق كل واحد منّا كما هو – لقد أعطى كل ذلك ليكون- الواحد ينتمي للآخر بالمحبة. هذه المحبة تجعلنا نصبح معطاءين.

الرب حاضر في حياة كل واحد منّا. يعمل عمله فينا بصبر لا حدود لرحمته. كي ندين جارنا فإننا لا ندينه هو ولكن علاقته مع المسيح أي ندين عمل المسيح فيه. يمكننا التأكد من شيء واحد فقط: وهو وجود أحد ما يمكننا الإعتماد عليه دائما وهو الذي لن يفشلنا أبداً، لا ظلمة يمكن أن تخيفنا لأنها ليست غير علامة على ضعفنا الخاص، وهذا الضعف نفسه يحمل شهادة له، وهو وحده يمكن أن يغنيه. نعلم أن الرب هناك، وهو يستطيع بحرية أن يعمل إرادته فينا. هو رجاؤنا كلّه، وهو الجواب. يعطينا في بداية كل صلواتنا. الله مخلص ونعلم أننا يجب أن نكون مستعدين للبقاء بين يديه. هو الشوق الحقيقي لقلوبنا وهو الجواب. يظهر محبته لنا حيث لا نعرف كل شيء موجود في قلوبنا والتي بها نحيا.

المحبة التي تقنعنا

يمكن لقلبنا أن يكون مقتنعا فقط بإدراكه أنه يحيا بشركة حقيقية بمحبة لا متناهية. وعندما نعلم بهذا سنشعر بسلام معرفتنا للحقيقة. قلوبنا تعطي شهادة حضور لله، ومهما كان هذا الحضور سهلاً وهادئاً وسرياً فإنه يعّبر عن تأكيدنا على الإيمان والعمل. وإن أشتياقنا أعمق من قلوبنا لأنه يأتي من الأبعد، ولكننا نستطيع أن نخمن محبة الله لنا، وحاجتنا للمحبة هي سر أيضاً لأنها تجعلنا مثل الله. إننا خلقنا على صورته ومثاله الذي هو اعمق مما نعلم. علينا أن نعطي موافقتنا الحرة فقط كي تصبح محبته اللامحدودة قياساً لمحبتنا للآخرين الذين فيه نحن في الشركة معهم. لقد وجدنا الشحص الذي لا يخيب محبتنا أبداً. ونستطيع دائما أن نحبه ونجده اكثر عطاءً في المحبة وعندها تكون قلوبنا مرضية.

المحبة التي تحررنا

كي نؤمن بحضور الله أن نتركه يصير كل شيء لنا، الحضور الذي هو كل شيء لنا وسرّاً ضرورياً. تظهر لنا هذه الطبيعة المزدوجة لحضوره نوع الإنتباه الذي يجب أن نسترعيه لها. وكلما كان معناه إنه كل شيء بالنسبة لنا؛ كلما عنى ذلك إن هناك شيء دائما لنا، ويفترض بنا أن لا نشك. هو شخص يعني كل شيء لنا اعمق مما نعلم. نحن نختبر حضوره بحرية وبساطة لأنه حضور الشخص الذي يحبنا، وهو معنا ويجعلنا احرارا وبسطاء وبدون رغبات. لأننا نعلم أننا لا نملك إيماناً كاف بمحبته. 'معك لا رغبة لي على الأرض ' (مز 72).

هذه المحبة هي صريحة ومثل نظرة الطفل المحدقة أو الإبتسامة المدهشة. إنها تقبل الهدية المعطاة دون أن تسأل كيف وصلت، فبساطتها هي حريتها. هي حرة من جميع التعقيدات والقلق الذي يجعلها تدور إلى الخلف حول نفسها. يفترض بنا ان نجد السلام ضمن فكرة إن الله هو الذي يشاهدنا ويديننا. يفترض أن لا نفكر بالله كشخص يحرم قناعاتنا لكن كمحبة تحرسنا وترشدنا فيجب أن نتبعه بثقة لأنه يقود إلى الكمال الذي هو هدفنا. يفترض أن نحيا وفق بصيرة محبته الشفوقة وأن نميّزها في كل ما يطلب منّا.

يفترض أن نكون سلسين كي نترك الرب يعمل فينا من خلال الأحداث والناس. يفترض أن نتركه يأخذ بهذه الطريقة ما هو سيء جداً في عطائنا. وأن نكون صبورين وواثقين به. يفترض صلاتنا أن تظهر هذه السلاسة وذلك ما يمكن أن يعين في حضور الرب. وتلك هي الصلاة.

إن عيش حضور المسيح هو أن ترغب وتفكر وتشعر بأن كل شيء هو معه. يمكن أن نحيا مشاعر ناقصة معه عندما نرغب أن نتحسن حقا. لقد تعلمنا معرفته عندما نجتمع به في سر الإفخارستيا. فهو معنا دائما، وهو في قلوبنا ويقول نعم دائما حتى عندما نقول لا.

5

البساطة والحرية
محبة بلا حدود

يمكن أن نتأكد من أن الفرح الحقيقي موجود وحاضر مسبقاً في مركز حياتنا. إن حب أي شخص أن نكون سعداء بسببه. وحب أي شخص هو المعرفة والقول من عمق كياننا إنه يعني كل شيء لنا. إنه اعتراف بأننا نعيش في الآخر ونوجد فقط من خلاله وإنه يقبل بما نحن عليه: وهذا يقود الى ان الصراخ إلى الله وعدم القدرة على الحياة إلا به ومن خلاله ومعه. حب الله ليس فقط اعترافنا به كجواب لصلاتنا، فذلك شكل محدود للمحبة، لأن الله موجود عندما يكون لدينا اشتياق له. إنه مقياس الرغبة التي هي اعظم من قلوبنا. لأنه محبوب بشكل غير متناه ونحن لدينا حاجة لا متناهية للمحبة. وهذه ليست فقط حاجة نملكها. لقد خلقنا للآخر، ولا شيء له معنى إن لم يكن في علاقة معه. وهذا يفسر كون صراخنا وحاجتنا لها قيمة مطلقة.

نحن مستحوذون بسر المحبة، والجواب الوحيد الذي يمكن أن نعطيه ببساطة تامة هو أن نؤمن بها. نحتاج إلى التواضع الحقيقي لنكتشف الشركة الكاملة مع محبة الله لأن هذا هو الموقف الصادق تجاهه، وهذه هي الطريقة الوحيدة للإعتراف به كما هو حقاً. إن هذا سيبقى حقيقة عندما نشاهده في السماء. يجب ببساطة أن نقبل صلاتنا الفقيرة والمسالمة. إن هذا هو فعل الإيمان به والذي يقدر أن يعمل ما يريد بفقرنا. إن فعل الإيمان - الإيمان بشخص ما - والذي يشغل حياتنا كليا، ليس عملنا، إنه هدية. نستطيع أن نرى فقط العلامات التي تسمح لنا للإعتقاد بأننا استلمنا هذه الهدية التي نحيا بها وذلك كاف ليجعلنا شاكرين، فماذا تفعل النعمة فينا ؟ نعيش في حرية وبساطة مؤمنين بقوتها على قلوبنا، فيجب أن نكون منفتحين لعمل النعمة هذا وأن لا نجعله ينتزع منّا بأية طريقة.

الله لا يختفي، نستطيع دائما اكتشاف علامات حضوره مباشرة حولنا ولذلك لا نكف عن البحث عنه. والصلاة هي تعبير عمّا هو أعمق، ولذلك فهي فينا طبيعية وعفوية اكثر وبها نكون اكثر صريحين مع انفسنا. لهذا يمكننا العيش بواسطتها دون ملاحظة مهما كانت الطرق التي يقودنا الرب بها في الصلاة وكما في كل حياتنا فهي دائما طرقه والشيء المهم هو أن نعرف ما هو الموقف الصحيح الذي بواسطته نعمل ما يريد. هذا هو أحد أشكال أو شكل آخر من التواضع. الله يحبنا ويعرفنا ويعلم بضعفنا ويتقدم ليرى بأنه مهما نكن متحمسين فنحن ندرك فقرنا وآثامنا ولا نيأس ولا نتخلى عن البحث عنه لأننا نحتاج محبته كثيرا.

متحدين بمحبة الله

الله يحبنا بحرية ولا يحبنا بطريقتنا وبمحدوديتنا. بل يحبنا بطريقته الإلهية الخاصة، بكماله وسخائه وحريته إذ ليس له حدود. هكذا يجب أن نستقبله وأن ندعه يملأنا.
يفترض أن نثق وأن لا نفكر كثيرا بفقرنا، وبعد ذلك أن نبدأ بفهم معنى محبته. ليست محبته مرفقة بحدودنا ولا تقف عند الذي أحبه اقل مما يحبنا الله. الله يحب كل شخص وهذ ما يوحدنا، يجب أن نعيش العلاقة اليومية مع أخي بحضوره لأنه يحبنا سوية.

بنور الإيمان

التواضع والثقة. التواضع والفرح حالة واحدة في علاقتنا مع الله حيث نعتمد عليه كلياً. فنحن نكون في حضور محبته. لا نستطيع بالطبع أن نعّبر عن هذا الإيمان بشكل مناسب لأنه يتجاوز الكلمات. وعلى أي حال إنه لا يتقاطع كليا مع ما يمكن أن نعبر عنه بالكلمات. لكن ما تقوله كلماتنا بخصوص الإيمان تصير ببطء حقيقة حيّة. وهذه هي حياتنا ونورنا حقاً، وبواسطتها نحيا في حضور الله ونكون متلازمين به. لذا فالصلاة هي العيش ببساطة، ووجودنا وفق النعمة التي كوّنتنا. تدعنا الصلاة أن ننسحب صوب الإشتياق الأعمق لقلوبنا إلى ما هو اكثر صدقا فينا ولا نكون منذهلين منه.

الإيمان هو الهدية التي تأتي منه والذي نؤمن به. إنه يوقظه فينا ويضع في قلبنا شيء ما أعظم من قلبنا. فالإيمان بكون غير ممكن إذا كان الذي نؤمن به غير موجود. الإيمان يشهد عليه حيث لديه حقيقته الخاصّة خلف كل حقائقنا وشكوكنا. قد أُعطينا الإيمان بحنانه الذي هو رجاؤنا وفرحنا، ليس الله المجهول والمخفي والبعيد. إنه المسيح الذي نراه يتكلم ويعمل في الإنجيل والذي نصادفه في القربان المقدس:'من رآني فقد رأى الآب' (يو 14: 9).

إن إتحدنا مع المسيح على نحو شخصي محكم (وعلامة ذلك هو إقترابنا منه في سر الإفخارستيا) وعشنا معه في العلاقة التي تجعلنا خاصته يعني أننا نريد أن نتفق معه في كل شيء. المسيح حاضر إن آمنا به حقاً وإن كان يعني لنا كل شيء حقاً فيجب أن ننظر إلى حضوره فقط وليس لأنفسنا. المسيح رجاؤنا وحضوره في حياتنا هو العهد بحيث لا تبقى رغبة من رغباتنا غير مقنعة. هو يعطينا السلام سواء شعرنا بهذا السلام أم لا فإنه قد وهبنا هدية الإيمان به. إن فعل الإيمان هو قبول الحقيقة بالإيمان بغض النظر عن القليل الذي نرى ما يعنيه. الإيمان هو الإختبار الذي يشمل كياننا الأعمق.

6

ربي ليس لي أحد سواك

المحبة الموجهة

المسيح هدية الله للإنسانية وللتاريخ الإنساني كلّه، نحن واثقون من حضوره في التاريخ البشري، ويجب أن نحيا هذه الحقيقة بكل بساطة لأنها هدف إيماننا. إن كنا نؤمن بحضوره حقاً وإن هذا الحضور هو كل شيء لنا فيجب أن ننظر إليه فقط. لا أن نستمر بتحليل موقفنا تجاه الله، ونستمر

بالنظر إلى ذواتنا فقط ولكن أن ننظر إليه. ببساطة أن نبقى في حضوره. لقد تحولنا بسببه ويجب أن نتحول دائما، أن نعرض ذواتنا للرب في فقرنا، ولكن أمنيتنا أن نطيعه وندعه يعمل فينا.

نكون في حضوره عندما نعلم ماذا يريد منّا، فإن استطعنا أن نتلعثم امامه فقط، فهو يعلم ماذا نحاول أن نقول وماذا نريد وكيف يمنحه لنا. إن اعتمادنا المطلق عليه هو سر المحبة العظيم. نعلم إن شخص ما حاضر في حياتنا ويعمل فينا ويجب أن ننتبه اليه، ولكن عمله يذهب أبعد من إنتباهنا الضعيف والفقير المتحير والمرتبك بسهولة وبسهولة كبيرة. إن إنتباهنا نفسه هو عمل النعمة المتقدم الذي يثيره ولا يتحدد بواسطته.

علينا أن لا نحاول الإنفتاح نحو محبة الله بشوق اكثر حدية. فيفترض أن نعرض له أمنيتنا وحاجتنا ببساطة كما هي فقط ولربما بالكاد نظهرها كعمل ثقة متواضع. إن مشاعرنا ستبقى مشاعر إنسانية بسيطة وخاصة. الحقيقة إنها مشاعر نحو الله حيث توضح ببساطة من خلال عمق وسلام محدد. تتجه الصلاة نحو الله المرتبط بحياتنا فنعبّر عن كل شيء في حياتنا عبر صلاتنا كصرخة لله وشوق حقيقي له. وهذه الحقيقة الحية هي أساس صلاتنا حيث ترشد قلوبنا مباشرة نحو الله وتحفظ صمتنا الداخلي في حضوره.

المحبة الرحومة

تعطينا الإشارة بأن الصلاة تقودنا نحو عمق سر محبة الله إحساساً أعمق برحمته. فصلاتنا أولا بحاجة للرحمة ونحن ندع جهودنا المتواضعة أمام نظر رحمته، الرب هو معنا دائماً حتى عندما نشعر بأننا مذنبون تعيسون بنظره فإن هذا ينطبق على التوبيخ والعقاب ويمكن أن يكون علامة محبة إذا قبلناه بتواضع. إن مارسنا عادة رؤية الجيران بضوء سر المحبة والرحمة التي تحيطنا جميعاً فإن هذا يقودنا ليكون عندنا موقفا صحيحا تجاهه. نحن لم نعد نشك بالسر.كي نكون صبورين ورحماء يجب أن نعترف بتواضع أن ذواتنا بحاجة للرحمة.

نستطيع إن إمتلأت قلوبنا من حضور المسيح العيش حقاً بمحبته الخاصّة ونرى على الأقل كيف إن هذه المحبة هي أقوى من كل شيء ولا يمكن أن تنمو كئيبة أبداً، لذا ستصبح قلوبنا لطيفة ومسالمة اكثر من دفء هذه المحبة، وأن نترك نعمته تنمو اقوى بشكل تدريجي ونسمح لها أن تعمل ولا نضع عقبات في طريقها. يجب أن نكون في نفس الجانب كنعمة وليس إلى جانب مشاعرنا الخاصة والمتمردة مهما تكن قوية ومهما كنا ضعفاء نستطيع السيطرة عليها من خلال الصبر والثقة.

نحن في حضرة سر الله مع كل اخوتنا، سر نعمته الصبورة اللامتناهية، السر الذي يجب أن يحترم.

فيجب أن لا ندين جارنا لأن ردود افعالنا تكون ناقصة دائما، وحتى إن لم يكن من الممكن رؤية الأشياء كما يراها المسيح فيجب أن نحاول على الأقل لأنه لدينا مواقفه وفرحة التوافق معه. وبدلاً من العيش مع جيراننا المغمورين في صعوبات الحياة اليومية التافهة. يجب أن نحاول رؤيتهم في ضوء سر المحبة الذي يحيطنا جميعاً، حينذاك سيكون من السهل علينا أن نحيا بصلواتنا السر الذي اعطي لنا كل يوم كعلامة في الإفخارستيا وهذا يعني انه معنا دائما، إن كان فعل إيماننا هو حقاً فعل المحبة للمسيح بثقة كاملة وتواضع، فإن هذا الإيمان سينتصر دائما وسنرى كل الأشياء بضوئه وقبل كل شيء جيراننا لأن الإيمان يكون في الشخص الذي يبقى نفسه في كل التحديات لأنه لا يتغير.

المحبة اللامتناهية

نكون في صلاتنا في حضرة الله حقاً. الله الذي عظمته هي محبته اللامتناهية لكونها منبع لا ينضب يجذبنا إليه ويجعلنا قريبين منه. وهو قادرٌ على أن يحبنا في بؤسنا كي يشفينا. إن كل فقير ومظلم في صراخنا نحو الله يؤدي البيعة لسر الله بشكل خاص. فعلينا أن نقبل ذلك حتى لو كنّا لا نعلم إننا نحب حقا لأن لدينا فقط نوعا متعثراً جداً من المحبة والتي نقدمها له،

فيجب أن يكون لنا إيمان في المسيح الذي نجد فيه قوة جديدة تساعدنا على تحمل الصعوبات الجديدة والمظلمة. كلما ادركنا أننا في حضور الرب وبسلام سنكون اكثر إستعدادا لإطاعته وترك رغباته تقودنا وتتكلم من خلالنا مؤمنين بأن شخصاً ما يحملنا بين يديه تاركين أنفسنا موجهة بواسطته. وهذا لا يعني أننا نشعر بحضوره الجسدي فهو مشدود إلى حالة الطاعة. إن حضوره لسر. وكلما نفذنا بعمق إلى سره سنكون ببساطة قادرين اكثر على قبوله. يجب أن لا نندهش بردّنا الفقير الخاص ولكن نفتح قلوبنا بالإيمان لما نستلمه بثبات. وكلما ندخل السر بعمق فإننا نفهم أفضل كيف يحضر في حياتنا بطريقة ضعيفة وبسيطة: ' يا بني أنت معي في كل حين (أنا دائما معك) وكل ما هو لي فهو لك ' (لو 15: 31) هذه هي الحقيقة التي نحياها في الصلاة. إن الكمال لله وقوة محبة الله لنا حاضرة في صراخنا إليه والذي هو وضعه فينا. فيجب أن نثق بمحبته وأن نؤمن به. إن الإلتفات إلى الله يعني قبل كل شيء العيش بنظراته والعيش في حضوره، والنظر إليه لا يعني إننا نفكر به من بعيد حيث نبقى امامه فقط كما نكون، إنه الدخول بالشركة معه حيث يحولنا على شكل صورته ويجعلنا مثله.

هو كل شيء لنا

المحبة تعني إن الشخص الذي نحبه هو كل شيء لنا، كما يصبح المسيح سبب حياتنا الحقيقي، فنحن نعلم أننا نحبه حقاً ونحيا في فرح محبته. لندع هذا الفرح يغلف حياتنا كلها ويكون قويا جدا بحيث لا يمكن أن يغيرها شيء أو يسمح لنا ان ننساها. إنها كافية لإقناعنا دائما ولا يمكن أن ينقصنا شيء فنحن واثقون من محبة المسيح لأنه لا يمكن أن يخيبنا وهو سيعطينا النعمة حتى لا نخيبه.

حبنا لله اعمق مما ندركه، إنه حقيقة النعمة التي نحياها في ظلمة الإيمان، فيجب أن نعترف بهذه المحبة بإمتنان في قلوبنا كهدية الروح القدس التي لا يمكن أن تنحصر ضمن تحديداتنا. لا يمنع الرب من رؤية ما فينا من ضعفنا وحقارتنا والتي تصرخ إليه. إنه يأخذها نحو الأعالي بنعمته ويبقى معنا، فمهما كنا فقراء وفارغين فإننا لسنا وحيدين، والسبب لأنه قد حُسب

فقرنا نفسه بنعمة حضوره وكأنه صرخة نحو الله. لا شيء واحد يأتي من قبلنا، نشعر بشعور تجاه مَن من الممكن أن نعتمد عليه. ولكن الحياة الواثقة من هذا الحضور تجعلنا نضع كل رجاؤنا فيه لأننا نعود إلى الله فيجب لأجل هذا أن نعطي موافقة قلوبنا بأكملها. ربما لا يمكن أن نعمل هذا تماماً ولكن يجب أن نهتم به كي لا نهجره.

لا يمكن أن نعبر عن معرفتنا للشخص وماذا يعني لنا بصورة كافية، فيجب أن نعيش معرفتنا. كذلك الحال مع المسيح وحضوره في حياتنا. فإذا كان حقا شخصا بالنسبة إلينا واردنا معرفته. أولاً هو 'يعرفنا' وقد كان دائما معنا ومحبته لم ترهقنا أبداً. ثانياً إن حضوره سري ورصين فيجب أن نعترف بحضوره السري كعلامة كماله الغامض وأن نشاهده مثل دعوة لنثق به كلياً. يجب أن نستلم هدية حضوره بتواضع وأن نقبل ذلك كي يبقى صامتا وسريا. يمكن أن نتوقع كل شيء منه حتى إذا خسرنا حياتنا أمام نظره، فمن المستحيل أن نكون سوى بسطاء، ولكا نشعر أنفسنا اننا أمامه اكثر كلما نشعر بصراحة اكبر، حيث يمكن أن نثق به ونأمل كل شيء منه لأننا نثق به غير منتظرين شيء من فقرنا الخاص.

الثقة المتواضعة

يفترض أن تكون لدينا رغبة بسيطة لنقدمها له بحيث يمكن أن تقنعه، رغبة اعظم من قلوبنا، يمكن أن نحزرها رغم كل ما نشعر به. وإذا وجدنا بأننا لا نعلم ما إذا كنا حقا لا نريد ما هو مظلم جداً، نستطيع الثقة به لأنه يدعونا إليه. يجب ببساطة أن نرغب بما هو يدعونا أن نرجو في فعل الإيمان به وحده وسنجد العلاج لكل امراضنا عبر الإلتفات إليه. نحن ننتمي للآخر فيفرض أن نزيل أنفسنا من أمامه. إن الموقف واقعي جدا حيث يظهر كل شيء غير منسجم معه مثل خدعة. حتى لو كان هناك مجرد فراغ وصمت فقط، نقدر أن نشعر بأن شيئاً ما هو أحق من أي شيء ربما نحاول البحث عنه لملئه حتى إذا كان هناك فراغ وصمت فقط. لدينا هاجس محبة الله لنا التي تدعونا، ونشعر بالفرح بالنعمة التي يجب أن نفتح قلوبنا لها، أن نحيا بواسطتها بحرية دون النظر إليها اكثر من اللازم وبدون أن نرغب

بإمتلاكها. أن نقبلها كهدية لحظة إثر لحظة، أن نتمسك بصمت لما في وعي قلوبنا وما وراءها: عيش الواقع مع الله. أن نتفق مع توجه إرادتنا وكياننا نحو الله وعيش ذلك واقعيا.

كن مطيعاً

إنه فعل التواضع تجاه سر حضور الرب في حياتنا هو لكي نقبل التجارب والصعوبات. حتى وإن أُزعجتَ من أحد ما أو أتى الإزعاج من أناس آخرين فإننا نترك الرب يتابع خطته لنا ونحترم سر حضوره. أن ندع الرب ليكون حرا تماما في متابعة خطته لنا، أن نقبل كل شيء وكل شخص يُستخدم إنجاز هذه الخطة. أن نقبل الألم ولا نكن متهورين عندما يكون من المستحيل لنا أن لا نكون حزينين، وأن يكون حزننا هادئاً ولطيفاً.

يجب أن لا نقلق بشأن كل ما هو إنساني وضعيف فينا، ولكن يجب أن نتعلم أن نعترف بحضور الرب وسط صعوباتنا وتجاربنا، وأن يكون لنا ثقة به، وهذه الثقة هي قبولنا له والتخلي عن كل شيء يمكن أن يقف في طريق نعمته، وأن لا ننـزعج عندما يجعلنا شخصا ما نتألم لأن موقفه غير ذي حق بل أن نحاول اكتشاف الإيمان كي نساعد هذا الشخص، وأن نذهب الى الله معاً.

إن محبة الله حاضرة في الشركة التي يمكن دخولها فقط بمحبة جميع المشاركين فيها، وأن نحبهم كما هم ونرى محبة الله فيهم، وأن نتعرف على الرب الذي يختبرنا بهذه الوسائل وان نرى انفسنا والآخر وفق سر نعمته. إن هذا يعني أن لا نكون عدائيين بل ان نجعل التواضع جزءاً من كياننا الأعمق، وأن لا نبغي تحقيق شيء من عملنا الخاص عبر صلاتنا أو في حياتنا. أن لا نحاول أن نقف وحيدين بل نؤمن به، فهو يأخذنا بأيديه ويعمل فينا عمله الخاص بمحبة، يقودنا تدريجيا ليصبح شخصا يستطيع أن يحب، وهذا الشخص الذي لديه مكانه الوحيد والخاص في شركة المحبة؛ يدعونا للدخول فيه، لذلك نؤمن بحضوره وأن نحيا بهذه النعمة.

يجب أن نترك الرب أن يجعلنا اكثر وداعة، أن لا نصبح أقسى عبر العناد، بل أن نحاول ونجد الموضع حيث حب النفس يفسح المجال كي نستطيع ايجاد السلام مرة اخرى. الرب يفعل ما يريد منا، ويقودنا اينما يريد، فيجب أن لا نحاول مقاومته، بل ندعه يكوّننا، فلتكن مشيئتك هي الحرية.

صمت الإيمان

يجب أن لا نخسر الإيمان بما لا يرى. فصمت الأديان هو احترام لهذا السر، سر الشخص الذي يحبنا، وهو يعطينا كل شيء. يجب أن نبقى منفتحين له على رجاء، نشعر بأننا مقتنعين، فالرب يرضينا جميعا وهو يعلم هذا، ونعلم انه يحبنا.

نؤمن لأننا لا يمكن أن نشك في المسيح وحضوره في العالم، وهكذا في كل واحد منّا. فنحن قد رفعنا بهذا السر العظيم، ويجب أن نؤمن به ببساطة، وأن يكون إيماننا بسيطاً، فالأيمان هو التواضع الذي يقبل الحقيقة كهدية تجلب السلام. الفراغ والظلمة يمكن أن يُحس بها كالجوع وتصبح دائما موضع ثقة، حيث نجد السلام في الصلاة المتواضعة، ونعلم أنه لا يوجد طريق آخر، وأي شيء عداه يقود الى نهاية مسدودة. فالله يحبنا اكثر من إدراكنا ويمكن أن نتلعثم بحضوره. لكن رغم فقرنا فربما لدينا خشية حقيقية تجاه هذه المحبة اكثر مما ندرك، وهذه تُظهر ببساطة ثقتنا بالله وقبولنا الوديع لفقرنا.

إننا نحب بالمحبة التي لن تتوقف حتى عندما لم نعد نعرفه، فيجب أن ندعه يعمل وأن يعمل ما يريده معنا. يجب أن نرغب بصدق كي نكون منفتحين للرب ومرنين بيديه، هو يرى امنيتنا حتى عندما لا نستطيع التعبير عنها، فيمكن أن يكون لأمنيتنا هدف واحد فقط: ماذا يريد الله منا؟ أن نؤمن بأنه يريد ما نتمنى بكل قدرته وقوة محبته رغم ضعفنا. لندعه يتمم عمله عبر ضعفنا ونتوقعه بسلام. نستطيع العيش فقط ضمن القبول الحر، وأن تكون الرغبة المتواضعة مطيعة لإرادة الرب، وأن يكون صمتنا قبول وعلامة القدرة. يفترض أن نفتح انفسنا لمحبة الله بالبساطة معترفين بأن كل ما

عندنا قد أتى منه وإن قدرته الكلية لوحدها تعمل فينا، وهذا هو الموقف الصادق نحو محبته.

نعلم أننا محبوبون

نعلم أنه قد احبنا، وإن الجواب الملائم لهذه المحبة هو فقط أن نسأله ليأخذ كل الذي لا نعرف كيف نعطيه. الرب هو فرحنا وسلامنا حقاً، وإذا كنا لا نستطيع العيش بدونه فإننا نشعر دائما أن في داخلنا شيئا من ذلك السلام القادم منه وإن اعماق قلوبنا تعود إليه وهو يعلم هذا. إن ترك انفسنا بين يديه لا يحمل مشاعر عظيمة حيث يمكن أن نقوم بذلك ببساطة ومثل طفل، لذا فإنها ثقة حقيقية، وهذه الثقة طراوة الثقة الحقة المعاشة عبر التواضع والفقر والترك. إنها مصدر الصبر الهادىء. الرب سيرحمنا إن اعترفنا بفقرنا المتواضع، فيجب أن نؤمن بصدق ليس برحمة مجردة ولكن بشخص نعرف رحمته بالخبرة حيث سيقودنا حيثما نريد.

يفترض بقلبنا أن يتحد مع المحبة التي هي الحياة، وبضوء هذه المحبة الوحيدة نعرف ونرى كل شخص، مؤمنين بمحبة الله اللطيفة لكل الذين يحبهم ولن نخيب عندما يكشف لنا ضوء الله ماهية حياتنا، فسنشفى من وهم قياس الأشياء طبقا لمقياسنا الخاص حيث ستكون فوق القياس.

7

هدية حضور الله
في حضرة الله

نعلم أننا في حضرة الله، وسنصبح تدريجيا أكثر ادراكاً لحضوره إذا تصرفنا وفقا لذلك. نبقى صامتين في حضوره لأننا نعلم أننا لسنا وحيدين،

وهذا هو فعل الإيمان بحضوره. يجب أن لا نبحث بأنفسنا عن شيء لنتكل عليه عندما يفشلنا كل شيء، ولكن يجب أن نؤكد إيماننا بحضور الله وأن نقف ببساطة تماماً في حضوره وهو يعلم ما في أعماق قلوبنا. علينا أن ننظر الى الله ببساطة دون أن نشعر به، وأن نكون ببساطة ما نحن عليه لأن محبة الله لنا هي كما هي، فبسبب علاقته الفريدة بنا وقد جبلنا كما نحن عليه لذلك يرغب أن يكون عندنا ومعنا. نحن موجودون فقط في ومن خلال المحبة. إنه يترسخ في اعماقنا ويجب أن نعطيه الحرية ليعمل ما يريده معنا.

إن ثقتنا واستسلامنا المتواضع هو بعيد عن ما يفترض أن يكون إذا علمنا حقا ماهية محبته لنا، لكن يجب أن نعرض انفسنا كما نحن، عارفين جميع عيوبنا وهذا هو الرد الكافي الوحيد لمحبته فالله يحبنا ولا ينسانا ابدا. هو يمكنه ان يحرك أي شيء فينا بالصلاة إن كانت متجه نحوه، وحتى إن كنا غير مدركين لها. نبقى بصمت امام الرب، ويمكن أن نكون راضين أنه يعلم أن قلوبنا لا يمكن لها العيش بدونه. إنه يضع الصلاة في اعماقنا لنصبح مدركين لعمل نعمته فينا بمحاولة ان نكون مخلصين له اكثر وان نحيا بواسطته عبر سلوكنا تجاه الآخرين. لقد تم رفعنا الى الكمال اللامحدود لسر محبته. إنها المحبة التي يجب أن تصب خارج قلوبنا نحو الآخرين، فيجب التغلب على جميع العقبات حيث لا يمكن لشيء أن يكون سببا لمحبة اقل.

احترام السر

يفترض أن تكون لدينا رغبة عميقة كي نكون امناء تجاه خطة الله لنا وأن نستجيب لمحبته. الرغبة بالإيمان. فالرغبة هي فعل إيمان، والرغبة لا تأتي من عندنا وليست محددة بقدراتنا الخاصة، ولا نستطيع أن نعطي حسابا كاملا تجاهها. الإيمان هو أولاً إدراك للسر، وعظيم أن نفهمه. نؤمن بالحقيقة التي هي فوق كل حقائقنا الخاصة، والموقف الصحيح الوحيد هو أن نبقى تجاهها بصمت وتواضع واعجاب. يفترض أن نقبل حقاً ندرة

صلاتنا وأن نؤمن أن الرب يفعل ما يريده عبر تواضعنا وبحرية نعمته. فليس مهما إن كان لدينا القليل لنعرضه في صلاتنا طالما نعرضه بتواضع، ومهما تكن صلاتنا فقيرة فإنها ما زالت صلاة إن بقيت متواضعة. إنه فعل الإيمان في السر العظيم للمحبة الذي نحن متشابكين به ومنحنين أمامه، فيفترض أن نحيا بضعفنا سره غير المتناهي والذي هو أعلى من مستوى فهمنا ولكنه حاضر عندنا جوهريا.

نريد من صلاتنا أن تعانق بطريقة ما سر الله وأن تميز السر وضعفنا الخاص أمامه، أن نقبل قلة صلاتنا وفراغنا واضعين ثقتنا بالله مكتشفين كل مساندتنا بسر الكمال لمحبته. الصلاة ليست كالمكان العائد لنا عندما نكون بالبيت أو العمل، نقبل اليأس والفقر الكلي ونتعلم بثبات أن نقبل الصلاة كهدية من حين لآخر. أن يكون لدينا موقف مقبول ومنفتح اليه حيث هو هناك حتى لو لم يعط علامة حضوره. إن حالتنا مقبولة دائماً إلا أننا يمكن أن نكون واثقين لأننا نعلم أنه قد أحبنا.

عندما ناخذ القربان المقدس لا يمكننا الشك بأن نعمة هذا السر هي فعالة وسط ظلامنا. ألا يمكن حينذاك أن نرى أن ظلمتنا ليست عدم إيمان ولا حائل او رفض للنعمة؟ إذا كان لدينا حاسة إلهية حقاً فلا ظلمة تروعنا، إنه ببساطة يقودنا كي نسلم انفسنا كلياً.

الله ينظر إلينا بمحبة

كيف لا يمكن لله أن يحب اولئك الذين جعلهم عاجزين أن يكونوا سعداء بدون محبته والذين وهبهم هذا العهد الأبدي حتى لو لم يكن قد عرفوه أو قد إنحرفوا؟ يجب أن نحب الآخرين كثيراً كما يحبهم الله. إن الطريقة التي ينظر الله بها إلى أولئك الذين يطلبونه حقاً من خلال ضعفهم واخطائهم لهي سر. كلما ننظر للآخرين بلطف كلما ندخل بعمق في هذا السر. سنكون دائما ناقصين من كماله، فالله يحب اكثر مما نفعل دائماً.

الله حاضر ويجب أن نؤمن بحضوره وإيماننا هو نتيجة نعمة حياتنا بملئها، إن إيماننا بأنه يحبنا هو للإعتراف بمعنى محبته لنا وما استلمنا منه. أن نؤمن ماذا فعلت نعمته بأعماق قلوبنا حتى وإن كانت غير واضحة الرؤية. فالسر المسيحاني يتجلى عبر حقيقة التاريخ. فلا يمكن أن نقلّل صلاتنا الى حد ما نشعر وما لا نشعر في اللحظة الحاضرة، إنها تعبير عن ما صرنا خلال فصل النعمة في حياتنا.

إن ادراكنا بأننا قد استلمنا ونستلم كل شيء من الله هو ادراك محبته لنا عبر عمل النعمة في قلوبنا. كيف إذا لا يمكن أن نكشف أنفسنا امام محبة الله كليا، وأن نزيل كل العقبات من طريقها؟ إن الإيمان بالله هو الإيمان بعدم وجود شيء ما فينا جعل ليكون مقنعاً، إنه الثقة الصادقة بالخطة المحبوبة التي خلقتنا.

القبول الكلي

يجب أن نقدم القبول الكلي، فالله في عمله فينا هو دائما السر الغامض كثيرا والذي يقودنا الى الحقيقة. إنه يقودنا الى التواضع الذي هو موقف الحق. يجب ان نطمس ذواتنا بشكل حيث يسهل انقيادها وتشعرنا بأن ذلك لا يأتي من أنفسنا. نحن ببساطة لا نستطيع تبني هذا الموقف بشكل متعمد، وببساطة لا يمكن أن نكون غير ذلك امام الله، لهذا فإن موقفنا هو توضيح لحضوره، إنه توضيح لما يعني هذا الحضور لنا أيضاً. يمكن أن نكون هكذا فقط بحضور شخص ما يحبنا بلا حدود، فيجب أن نعرض ضعفنا للقدرة كلية النعمة، وأن نكون فقراء الإسلوب، هذا الإسلوب الذي هو فعل ثقة. يفترض بضعفنا أن يعبر عن موقفنا الحقيقي نحو الله ويوضح ماذا يعني هو لنا، فلسنا فقراء حقاً إن لم يكن إدراكنا لفقرنا يحسن علاقاتنا بشكل كبير مع الآخرين.

يفترض بنا أن نقبل ضعف صلاتنا حتى لو كنا نرى فيها تأثير حاجتنا للتجرد الحقيقي والسخاء، أن نسمح للرب كي يخزينا بهذه الطريقة،وأن نقبل بلطافة هذا التواضع حيث نفتح انفسنا للنعمة وأن نسمح له كي يقودنا

حيثما يريد، لأن النعمة ترى بوضوح من خلال الظلام الذي فينا، فالتواضع الحقيقي يمنعنا من إدانة الآخرين.

هو الذي نؤمن به

إن التقدم على ارضية معرفة الله هو تقدم دائم في الإيمان ولا يغير في الرؤيا، ويبقى سر الله بعيداً فوق كل افتراضاتنا، ويمكن أن نقف امامه بصمت فقط. الإيمان يبقى غامضاً والغموض يمكن أن يزيد ولكن سيظهر هدف إيماننا بوضوح اكثر فاكثر كالواحد الذي يعني كل شيء لنا، والواحد الذي إليه نستسلم بإيمان وبحماسة تامة.

على أي حال، الله الذي نؤمن به ليس فوق معرفة البشر ومجهول وصعب الوصول إليه تماما، إنه حاضر لدينا – في حياتنا- في المسيح، فهو الذي يفهم قلوبنا ويقبل كل شيء فينا. إنه ليس ذو وجه قاس ازلي ؛ لكنه شخص ما، نعرض عليه المحبة التي لسنا متأكدين منها ولكن نضع ثقتنا به، وهذه هي الطريقة التي ما زالت نخبره أننا نحبه ولا يمكننا التوقف عن محبته. نعرض له محبتنا حتى وإن لم نكن واثقين من اننا نحبه بلطف وسلام. وبذلك نبين أننا نثق به حقاً، حيث لا يمكن أن نكون متواضعين كفاية امامه ابداً، وعندما نعلم هذا سنعلم أننا أبداً لن نحدد نماماً ما هو الله بالنسبة لنا وما يمكن أن نتوقعه منه.

الثقة التامة

لندع الرب يرى أننا مستعدين وأن ندعه يفعل ما يحبه بنا، فصراخنا نحوه ينبع من اعماق قلوبنا، ولذلك هو جزء من معرفتنا الذاتية البسيطة. يجب أن نتعلم تمييزه، ليس أن نجرب فنبعده كما لو لم يكن فينا مسبقاً وكجزء من انفسنا، بل أن نوافقه وننتبه اليه وحينذاك لن ندع ذواتنا في حيرة منه، وإذا كان صراخنا الى أبانا الذي في السموات هو في اعماق قلوبنا. كان بسبب

مشاركتنا الحية مع المسيح، فما هو عميق فينا يحيا فقط في ومن خلال المشاركة، وهو لا يعود إلينا وحدنا، فيلزم أن نحيا مؤمنين بالمسيح الحي فينا.

إن كان الرب كل شيء لنا حقاً ؛ فهذا يعني كونه حاضراً في حياتنا كلها وأن نحيا هذا الرجاء البسيط بنعمته، إنه هدية نقبلها بسلام وثقة. والثقة تقودنا الى سر الله والعيش بنوره. إن فعلنا الإيماني يجلب لنا السلام، وهذا الإيمان حتى لو شعرنا به بصعوبة فإنه ليس مثل سلام الله. نحن ننظر ببساطة نحو الله ولكن بكياننا كله الذي ينتبه كلياً لحضوره. فعندما يكون هناك الذي نحبه حتى وإن لم نشاهده أو كان صامتاً؛ فحضوره يتجاوز صمتنا. إنه ليس مثل عزلتنا السابقة. هكذا فإن صلاتنا هي الأولى وفي المقام الأول لثمرة حضور الله، ونحن نقبل صلاتنا كهدية لهذا الحضور. فيجب أن لا نشك أبداً بحضوره. الإيمان به هو إيمان بمحبته لنا والإنتباه إليه هو أن نترك ذواتنا تتغلغل في معناه.

نعيش في الشركة مع الرب بكل ما نحن من عطيته أصلاً. فهو ليس مثل شخص نقف أمامه فقط، وهو ليس من ننظر اليه، هو حسب نظرتنا وكياننا المتحول اليه. سنصبح محبة لله ولجارنا تماما إن كنا منفتحين حقا لنعمته، أن تفعل النعمة ما تريده منا بشكل حقيقي، فهذه ستكون العلامة الأكثر تأكيدا لحضور الله، وسنكتشف أن هذه المحبة هي الحقيقة الإولى التي تشملنا وتلهمنا المعنى الحقيقي لأي شيء آخر حيث نرى إن الهدف من محبة الله هو جارنا.

هو الذي يتحدث لقلوبنا

إن محبة الله تتنبأ بكل ما نحتاج. الله يعمل في قلوبنا اكثر بكثير مما ندركه، وبهدوئه الشديد يبرز موقفنا بالقبول المتواضع والطاعة والإحترام لسره. إن كل شيء يأتي من الله حتى جوابنا له والنامي في قلوبنا، فيجب أن نتركه يكوّننا وأن لا نضع قيود على إيماننا بمحبته، وأن نظهر إيماننا برضوخ

متواضع في ما بقي غامض لنا وأن نعبر عن إحساسنا بالله عبر التعلق به، هذا هو النشاط الأعمق لقلوبنا من خلال الثقة والطاعة والمحبة. لا يمكن أن نفهم كيف يعمل لإتمام مخططه تجاهنا، لذلك لا نشكل أولا فكرة انسانية عن تأثيره، ولا ندينه بما نشعر أو لا نشعر، أن نؤمن به إيماناً عميقاً وحياً غير متوقعين أننا سنشعر بفكرتنا أثناء العمل. نؤمن ببساطة وبصدق ولا نطلب علامات، ولا يكون لدينا إيمان بضعفنا اكثر من الإمتلاء من هذا السر الذي هو كل رجاؤنا.

ليس ضعفنا حاضراً لوحده في هذه المحبة وغير قادر أن يستجيب لها، فلقد أخذنا بهذه المحبة واستحوذت على مشاعرنا متحدين بها بشركة هي سر النعمة فيجب ان نتركها تنتزع قبول قلوبنا لها مقدمين ذلك بحريتنا الكاملة.

إنه لمفرح قول 'نعم' للرب خلال عمل النعمة في عمق كياننا، فإننا ندركه ببساطة وبصورة آنية كما نحن ندرك وجودنا الخاص. لقد تم تحرير وعينا الذاتي من مستواه الأعمق عبر العودة الى الذات، فتجربتنا من الآن فصاعداً هي هدية وثمرة حضور الله.

يجب أن لا نجعل معرفتنا البسيطة بأنه قد احبنا وإن ضعفنا يشك بهذه المحبة لأن الله يحبنا لكونه محبة، فنحن واثقون كلياً منه مهما كان صامتاً وكنا فقراء وضعفاء امامه. هو هناك وذلك كاف. هو يحبنا ونحن نعرفه وسلامنا بسيط جداً لكن السر يكمن في قلبه. سلامنا هو الإيمان بهذا السر لأنه يكشف حضوره الخفي، سر محبة الله لنا. الله يهب ذاته لنا بإعطائنا هدية تشوقنا إليه، وهو في قلب هذه الأمنية، ويكشف فيها ذاته لنا. أن ما نؤمن به هو الصراخ نحوه وهو جواب ذلك الصراخ.

الـ"أنا"مكروهة، فالله يحب فينا فقط ما نكون أو ما نجرب لنكون منفتحين لمحبة جارنا. نحب لأن الله محبة وهذا الحب يصبح عهدا مع الله. لقد وهب لنا بسر الشركة والإنفتاح للآخرين كل شيء استلمناه من الرب فنتقدم معاً بالتضامن وهو سر أعظم من تصوراتنا، والنعمة تعمل فينا بأخذنا كما نحن

وفق الحالة التي نحن فيها، فيجب أن يقبل بعضنا البعض كما نحن وهذا هو العيش بطريقة الشركة في النعمة مع الآخر.

8

سر النعمة
الحضور القريب لله

لأن محبة الله حقيقة اساسية فانها تتطلب قبولنا التلقائي، لكن هاتين الحقيقتين ليستا بنفس الترتيب. ليس ضعفنا الوحيد بنظر الله، لإنه يُدرك ضمن سر محبته الأزلية. يمكن لمحبة الله أن تعرف قبولنا التلقائي مهما نُعّبر عنه بطريقتنا المحدودة، فمحبته هي في قلب هذا القبول وتمكّننا من أن نهبها، فيجب أن نصبح حاضرين تجاهه بإعطاء قلوبنا ونكران ذواتنا، نرى في الآخرين سر النعمة بإعطاء قلوبنا الذي يتطلب الإكرام. إذا لا نذهب أبعد من ضعف الآخرين لأننا لا نراهم كما هم، فهم أيضاً منحازون لسر محبة الله.

كان ومازال الله فينا الذي نجده فوق مستوى فهمنا ويمكننا أن نصل إليه فقط بالذهاب إلى أبعد من أنفسنا حيث هو الطريق الوحيد لكمال ذواتنا الحقيقية. هو الآخر (معرفة) لأننا نستلم كل شيء منه، لكنه ليس آخر (نكرة) لأننا لاشيء بدونه. هو حاضر في كياننا الكامل ولا وجود له بدونه. إننا موجودون فقط في القوة الخلاقة المبدعة له وهي عمله فينا بالطبيعة والنعمة. الله دائم العمل فينا وصلاتنا تمنحنا بساطة وحرية عظيمتين حينما ندرك ذلك. نحن نعلم أن نشاطنا الأقل نحو الله يفهم ضمن سر كماله وهو معزز بواسطته ونعلم أننا قد ولدنا بطيبة ابانا الذي في السموات وهو قريب منّا جداً ولا يستصغرنا من أعالي السماء بل هو معنا. وهنا ندرك مدى امكانية العيش بسلام كالصراخ اليه من خلال ضعفنا وجهلنا.

نفقد انفسنا في النعمة عندما نعمل فيها ونقبل فقرنا ببساطة اكثر، فيجب أن نقبل إن كل ما نستطيع عرضه عند الإجابة هو الإيمان وحده لتقديم إنقيادنا إليه بحس اعمق من قبضة هذا السر على كياننا الكامل لأنه سر محبة الله لنا. نستطيع وضع الثقة في هذه المحبة، إنها املنا الوحيد ولا ظل لثقتنا الخاصة المسلوب جزءاً منها. إن وجدنا شخصاً نؤمن به بكل روحنا وهو أملنا فذلك هو الحب. فيجب أن نسمح للنعمة أن تعمق إحساسنا بالله وتجعلنا نملك تواضعنا الخاص بسلام اكبر، وأن نتكيء روحياً على الطاعة بشكل اساسي بإعتبارها نمطاً جديداً من وجودنا، وأن لا نكون بعد الآن قادرين على العيش وفق أية احداث تنبع من ذواتنا فقط.

اللغة السرية لقلوبنا

لقد تم تشكيل الله في قلوبنا ببطء لأنه معنا كل ايام حياتنا ولأنه منحنا العيش معه ولا يمكن مسح علامته الخاصة علينا. تحيا في صمت قلوبنا المتجه نحو الله، فيجب محاولة سماع لغة قلوبنا السرية، أن نمّيز السلام والفرح اللذان يبقيان رغم كل مشاكلنا وضعفنا وقلقنا عند المناسبات الأكثر شيوعا حيث نشعر بأننا أناساً اكثر بؤساً. إن النية العميقة لقلوبنا لا تتبدل والرب يراها حتى إذا كانت مخفية عنّا، فيجب أن نقبل مثل النعمة التي نحن غير قادرين على عرضها كصلاة مثل المسيحيين المتواضعين.
وهذه حقيقة باقية ولا شيء آخر لا نستطيع العيش بدونه، يجب أن نقبل هذه النعمة ونعرضها إليه كشيء وحيد تركناه للعرض. إننا بحاجة إلى الصمت وهذه حاجتنا لله. فإن كنا بحاجة للصمت فهذا لأننا نجد احد فيه، إنها أكثر من رغبة، إنه التركيز في ذلك الذي نحن كل ما نحن. إنه حياتنا حقاً، فيجب أن نأتمن الرب بسرية قلوبنا. هو وحده يعلم ذلك، فدعونا نجد فرح الثقة في مركز الصمت، إنها ثقة أكيدة لأن مساعدنا هو الله. لا يحتاج رجاؤنا الى حدود بسبب إنه رجاء بمن لا حدود له.

إن الصراخ في قلوبنا الى الله هو نعمة وسر النعمة، إنه أعمق من فهمنا. فيجب أن نؤمن بسر هذه النعمة الذي يحيا في قلوبنا وأن نتمسك به بصمت وتواضع، وأن نحترمه وننتبه إليه. يمكن أن نلمح سر الله من خلال

المواقف التي تشكلت النعمة فينا. نعيش النعمة بحضور كماله الأزلي، وعقلنا غير الثابت يستطيع الشعور به. إن إحساسنا به هو سلامنا وفرحنا وسبب رجاؤنا، فهو لا يتغير بل دائما معنا، الله المخلّص هو ملجأنا ورجاؤنا النهائي، لن يفشلنا أبداً، لا نندهش من فقرنا بنظر الله وأن لا يقودنا صمتنا في حضور سره لحسم كل شيء فينا كونه صرخة اليه، أن نوافق على ما فعلته النعمة في قلوبنا، أن نحيا بهذه الموافقة إلى ابعد من إدراكنا، أن نسمح للرب كي يفتح قلوبنا لنعمة حضوره ويجعلنا متواضعين ومدركين اكثر لفقرنا. ان لحظة وجود في صمتنا صراخ صغير الى الله فهو يشبه لهباً صغيراً يتغذى من النفط الموجود في القنديل. يفترض أن نترك الرب يختار طريقه الخاص لإظهار نفسه. مهما يكن هادئاً فإنه لا يتركنا مفزوعين ولكن نحيا بثقة متواضعة.

إن لم نستطع عمل الأفضل فإن الرب هو الذي يريدنا بهذه الحالة، فلا نتوقف عن الإيمان بأننا معه. ووضعنا كل ثقتنا به لا يحتاج سبب آخر للرجاء بكمال محبته، إنه باق بالسلام لأن الرجاء لا يخيبنا مهما كنا فقراء وضعفاء؛ علينا فقط أن نميزه. حيث نصبح مدركين اكثر لمدى محبة الله لنا ووقوفه على رغبتنا وكل كياننا فإن ردّنا يصبح مختلفاً ليس أقل ولكن أعظم. إنه يلائم التعبير عن استسلام اكثر للنفس وبثقة تامة.

قلب مصغي

التجسد هو السر الإلهي الحاضر في حالتنا الإنسانية، قبول ضعة حالتنا لنفسه. علينا أن لا نندهش من عيش هذا السر بهذه الطريقة. أن ندرك حضوره بصمت قلوبنا والحضور الإنساني البسيط. فقط أعماق قلوبنا واكثر أعماقها سرية ؛ يمكن أن تبقى ثابتة حقا بالله دون أن يبعدها أي شيء عنه ولا يمكن أن تحيا بدونه. الصلاة هي لإكتشاف هذه الأعماق وتعلم العيش معه ببساطة عبر فقرنا. عندما نكون غير منتبهين أو مذهولين ونعود الى انفسنا فهل سيكون لدينا انطباع أننا سنجد قلوبنا ثانية في حديث مع الرب لأنه لا يمكن ان يعترض لكونه الوجود الحقيقي؟

إننا نستطيع أن نرى أفضل عندما يمتحننا الرب كيف أنه ينقي قلوبنا ويشكلها بنعمته ويخلق مواقف جديدة فينا. وهذا يجب أن يساعدنا لنعرض له صمتنا ببساطة متذكرين أنه يعلم ما في قلوبنا وما قد وضع هو فيها، وهو يعلم أيضاً ما هو النقص الحقيقي الكامن فينا، فإئتماننا عليه هو الطريق، وربما الطريق الضيق لمراهنة أنفسنا له.

علينا أن نحيا بعهد مع عمله فينا، فحقيقتنا الأصلية هي الإنتماء لله، ننتسب إليه وهو يريد أن يفعل شيئاً ما لنا، فلديه خطته. الفكر الذي يريد أن ينجز هذه الخطة في حياتنا بطريقته الخاصة ولا يمكن لأي شيء أن يوقفه ويحب أن يجعلنا نقبل بسلام كل شيء يأتي إلينا، فلنعهد أنفسنا ببساطة لخطته لنا.
فعل الإيمان النقي: ولكن ما هو موضوع إيماننا؟ نحن نؤمن أن الله يحبنا وكذلك نحن ممسوكين بنعمة محبته، ونؤمن به حقاً؛ لكننا لن نكون تماماً كذلك. فعلينا أن نؤمن بقوة كافية في سر محبته بالعمل مع البشرية رغم فقرنا وخطيئتنا كي نرى العالم والناس من حولنا ومن حياتنا الخاصة بطريقة مختلفة تماماً. إننا نحترم السر ونميّز حضوره دون محاولة التخلي عنه، نشاهده كالحقيقة البسيطة التي لا يمكن الشك بها، فهو مصدر رجاؤنا العظيم.

لا نقلق بشأن ما يمكن أن نشاهده أو نشعر به فهو غير مهم. فما يهم هو موقفنا الذي ربما نشعر أو لا نشعر به كل الوقت والذي ينتج ببساطة من الإنتباه لحضور الله والتوافق معه، وهذا التوافق هو الصلاة أيضاً. الموافقة على حضور الله هي موافقة بأننا نعتمد عليه في وجودنا الحقيقي، موافقة لم تعد تنتسب لأنفسنا. إنه موقف التواضع الضروري وفعل إمتنان مطلق وايمان بمحبته لنا. الشكر هو تعبير صحيح لفعل الإيمان الذاهب الى أبعد من الذات، وأبعد ما يمكن للوصول الى محبته الكاملة، والشكر يعرف أنه لا يمكن أن يذهب أبعد بعيداً لأنه لا يستطيع قياس محبة الله أبداً، بالشكر نستطيع التمسك أفضل بكل ما هو باق ومخفي عنا؛ أي محبة الله التي لا تحتاج لعلامات أو تأكيدات أخرى. أن نقّدم قلوبنا له كما هي، كما يراها بنعمته في الفعل ذاته. الصلاة بأشكالها العديدة هي الإدراك بأننا منتمون لمحبته ولمحبته لنا. الصلاة لم تعد لأنفسنا وحدها، إنها تحيا في شركة،

تتضمن كياننا الكامل المنفتح لنا فيما بعد هذه المشاركة. وموافقتنا لسر محبة الله لنا في هذه الشركة هي لتبّني هذا السر وأن تصبح جزءًا منه.

شركة الإيمان والمحبة

ربّما يكون موقفنا تجاه الله ليس مرئياً، لكننا يمكن أن نختبره عبر سلوكنا تجاه جارنا، يجب أن يكون سلوكنا تجاهه محكوما من قبل إيماننا بحضور الله فيه. لقد ميزنا حضوره ولا يمكن أن نهمله ثانية ابداً، ويصبح فهمنا لسر محبته من صميم موقفنا تجاه جيراننا، ونرى أن هذا هو الرد الحقيقي الوحيد الذي نستطيع فعله للسر. فدعونا نحيا بفعل إيمان بحضور الآخرين إذا راودنا الشك بحضور المسيح في أنفسنا.
هذه هي خبرة شخصية كبيرة. ولكن مثلما لا يمكننا إحتواء السر ضمن حدود أنفسنا؛ فإن خبرتنا تحتاج للإنتشار من خلال إيمان الآخرين. فتجاه الذين نتحرك نحوهم هو الذي تكلّم إلينا بشركة المؤمنين. لن نتحرك نحوه إن لم يكن هناك إندفاع من اعماق قلوبنا، وإن لم نكن قد سمعنا الكلمة ؛ لن نعرف لمن كنا قد تحركنا، وهكذا يمكننا أن نتابع حركة قلوبنا ببساطة تماماً، فسنعرف أين يقودنا مهما بدا غامضاً لنا.

عيون الإيمان

"الإيمان في هذه الحياة وكما في الحياة القادمة هو نور المجد وطريق نرى به الله"(صعود الكرمل: 2: 24)

ذواتنا الأعمق

يجب أن ندع قلوبنا تسلك طريقها الخاص نحو رغبتها الأعمق، والتي تتميز عن كل الأخريات. هذه الرغبة مختلفة عن كل السابقات وليس ضروريا لأنه الإحساس الأكثر قوة ولكن لكونه يأتي من الأبعد مما هو أعمق فينا. إنه ببساطة ليس فعل إرادتنا الحرة ولكن شيء ما في كياننا الأعمق والمتضمن ما نحن كلياً، إنه شيء ما بسيط جداً ولكنه منفصل

بشكل أساسي عن وعي ذواتنا ومنفتح بلا حدود الى أبعد ما يمكن والله يكشف ذاته إلينا بهذا الوعي الذي هو صراخ ضروري له.

إن جوّنا الداخلي لم يقرر فقط ما نحن شاعرين به بوضوح ويمكننا إظهاره بالضبط، إنه مركب أيضاً من كل تلك (اعتقد يقصد الأفكار والمشاعر في فكر وقلب الإنسان-المترجم) التي تحيا في عمق اعماقنا، وهذا ما يجعلنا ندرك ما نحن عليه بشكل أساسي، إنه دائما هناك. فلندع كل شيء فينا يتحدث عن الآخر ويسّلم ذاته إليه. إنه فرح أساسي. وإذا كنا نشكّ فيه فإننا نحتاج إلى أن نسأل أنفسنا فقط فيما إذا كنا على إستعداد لتبديله بآخر. يفترض ببساطة أن نثق بهذا الفرح الذي ربما هو سري جداً ولكننا لا نشك به ومتاكدين من سبب كوننا سعداء.

سر النعمة

يرتكز كل شيء في هذا السر الذي أعطي لنا لنحيا بالإيمان، وذلك بسبب إيماننا به من حيث هو صراخنا نحو الله وأمنيتنا أن نحيا به بصورة مطلقة وكاملة مهما يكن تعبيرنا الخاص ضعيف. الصلاة لا تكتمل بذاتها والتضرع هو أن نفتح ذواتنا ونفهم من هذا فقط متى ما آمنا بالسر المخفي الذي يتطلب أن نفتح ابواب قلوبنا. إن صلاتنا ترفع بشكل سري بنعمة حضور الله ولن نندهش بغموض هذا الحضور إن آمنّا حقاً بكمال سره. فقرنا الداخلي مقتنع بأنه لا شيء ولكنه الرجاء فلندع اعماق قلوبنا تنتبه كلياً.

الإيمان بالله هو أن نعرض فعل الإيمان عبر فقرنا الذي يمكن منه وحده أن يستلم الحياة والنور بشكل سري. الإيمان بالله هو العيش بحضوره في جوهر فعلنا الإيماني، وهذا الإيمان لا يقاس من قبل المؤمن ولكن بفعل الإيمان. فبه ومن خلاله يصبح الإيمان كل ما هو. إنه حاضر فيه ويحيا فيه ويعطيه الحياة والإيمان يرفعه الى كماله وفي قلب إيماننا نفهم حضوره مسبقاً ونعرف أننا يجب أن نؤمن به كلياً، إن إيماننا هو أقوى من جميع الأشياء لأنه أمر آخر.

الحضور القريب

تظهر ثقتنا المطلقة عبر البساطة الكاملة في صلاتنا واضعين أولاً كل ثقتنا في محبة الله لنعرض له ببساطة فعلنا الإيماني الضعيف كما هو. كلّما قبلنا الله ببساطة اكبر كلّما نثق به بتواضع اكبر ونشعر به اقرب من خلال ترسيخه لنا بنعمة حضوره. إن إيماننا هو برقع رقيق شغاف لحضور الرب. نعلم أننا نستلم كل شيء من حضوره وهذا يعني أن الفعل الأسهل للإيمان يمكن أن يفتح قلوبنا إليه ونعرف أنه قريب ضمن متناولنا ويمكن أن نحيا بحضوره في هذه المعرفة بشكل مفرح من خلال الصمت تماماً. لا شيء يمنعنا من الإيمان به، متوقعين كل شيء منه لأن إيماننا وأملنا يعتمدان عليه. ربّما يبدو إيماننا ضئيلاً بالنسبة إلينا ولا نضع ثقتنا بإيماننا الخاص ولكن بالله الذي نؤمن به، فكلما كان إيماننا متواضعا اكثر كلما كان حقيقياً اكثر.

المسيح دائما معنا، حضوره والجو المحيط بذلك هو إستمرارية لصلاتنا من خلال فعل الإيمان الذي يجدد اتصالنا به. لدينا علاقة بالإيمان بالمسيح الذي يفهمنا، وهذه العلاقة هي في مركز ما هو شخصي فينا الى أبعد حد، فيجب أن نحّول كل صعوبة الى زيادة في الثقة. الإيمان بالله يعني معرفة أنه لا يمكن أن نتكل عليه اكثر من اللازم، فيلزم أن نودع ذواتنا الى محبته التي يكنّها لنا شخصياً وأن نتعلم أن ندرك هذا الحضور في حياتنا.
حتى لو لم نعد نعرف ذلك فلا يمكن القول أننا نؤمن بذلك، الله يحبنا ويحفظنا في يديه. إنه يرى قلوبنا ورغباتنا الحقيقية العميقة ويشاهدنا مسبقاً كما يفترض أن نكون. نعمته فعّالة دائماً ومتقدمة نحو الأمام بحرية، وإذ تقابلها عقبات فينا فهذه لا تعيقها. إنها تسألنا فقط أن نسمح لهذه العقبات أن ندعها تعمل. وهذه ستجعل قلوبنا وديعة ومسالمة اكثر تدريجياً.

حرية المحبة

إن الإيمان يمنحنا لحظة خاطفة عن كمال الله بمحبة كل شيء. الناس الذين يؤذوننا ونشعر بأنهم يخطئون إلينا هم ايضاً بإنسجام في رتبة المحبة هذه. الله يعرف طرقه السرية ويفترض بنا أن يكون لدينا إيمان كاف بمحبته كي نتبعه بسلام على طول طرقه الخاصّة. هذه هي حرية إيداع كل شيء للرب واضعين ثقتنا به، إنها الحرية الساكنة في الإمتنان. يلزم أن ننظر الى الأشياء ببساطة، وهذا يعني أن تكون متحررة من جميع تعقيدات الإرتباطات الذاتية.

إننا ندرك كمال محبة الله كالسر الذي يشملنا والذي يحيا فينا، دعونا نميزها تجاه جيراننا أيضاً. يلزم على الأقل أن نحترم ذات جيراننا الخاصة في عيون الله، وان لا نحاول النظر اليه، وأن لا ننظر اليه بعيوننا لوحدها. عادة هناك ما هو ابعد ويمنعنا عن التعريف به الى حيث الحقيقة الشخصية الاعمق الموجودة فقط في نظر الله. نستلم كل شيء من محبته بالشركة التي وهبها لنا معه. ربما به لن نصبح شيئاً سوى المحبة فدعونا نصبح عاجزين عن ما لا يؤدي الى المحبة.

حي مع المسيح

نرتجف امام سر اتحاد المسيح بنا، ونثق بصعوبة الإقدام لضمان الشركة التي بها المسيح بكل محبته المتميزة جعلنا حقاً واحداً مع نفسه، ونحصل على نعمته الحاضرة في الإفخارستيا حيث نحصل على ملامح السر ونتحد به كلياً. إنه يحيا فينا بنوّته نحو الآب ولا يمكن أن نفكر أن الصلاة هي عملية دقيقة يمكن تعريفها بشكل مضبوط. الصلاة هي حاضرة ومكشوفة لتبادل غير منظور ومشاركة حية نكتشف بها الآخرين تدريجياً عبر التعليم لنكون حقاً ما نحن عليه في حضوره. يلزم أن نحيا بحرية ما تاتي به وتستقبله الحياة في قلوبنا من محبة الله الدائمة الحضور، دعونا نستلمها عبر الثقة البسيطة، دعونا نرضخ ونعطي قبولنا، دعونا نعطي موافقتنا وننتبه إليه.

دعونا نؤمن بمحبة الله، بألفته. هو دائم العمل في قلوبنا جاعلاً صلاتنا مثمرة من خلال رفعها نحو كماله ومنحها الصفة المميزة للسر الذي لا نستطيع إدراكه والذي يلزم احترام سره. يمكن التأكد من أن صراخنا الأضعف يفتح قلوبنا نحوه، وربما بساطة رجاؤنا يحمل شهادة له هو الذي وضعنا ثقتنا به. البساطة التي هي ثقة. دعونا نقترب منه ببساطة لأنه رجاؤنا الوحيد ولا نحتاج الى شيء عدا حضوره. إن حضور الرب مدرك بثقة كاملة وهو الواحد الذي لا يمكن أن يفشلنا. فكمال السر الذي يتكيء إليه رجاؤنا يتميز بالبساطة الكلية لثقتنا، والطريق الذي نثق به يعّبر عن ما نحن قد لمحنا من كماله، وإن الصمت مملوء بالإحساس الكامل اللامحدود لله، فهو بعيد عنا وقريب منّا ايضاً بغير حدود.

دعونا ننظر الى الرب وإليه وحده، ولتكن صلواتنا فعل إيمان كامل عبر حضوره النشيط حيث نعمته تمسك كل قلب يشتاق إليه حقاً؛ مهما يشعر ذلك القلب بأنه فقير أو ضعيف. فلنكن سلسين بالكامل كما يريد الرب سيرى قلوبنا.

الصلاة مفتوحة لسر الله ومرفوعة بهذا السر، إنها تدخل في شركة لامحدودة تبغي الإقتراب منّا. نحن لا يمكن أن نرى الله ولكن يمكن أن نرحّب بهدية حضوره، وأن ننتبه لهذا الحضور. إن حضوره يفتتح وعينا ويفتح الطريق نحو محبته، ونعلم أنه يبقى حتى عندما لا يمكن الشعور به. ستكون أوقات الظلام لدينا شكوك حول ما فيها ولكن ما فيها يمكن أن يأتي بغير إرادتنا. الله يهبها الحياة ولا يمكن أن نشك به. نحن واثقون من وفاء محبته والتي تعبيرها النهائي هو الرحمة. فالشك بمحبتنا الخاصة وسط الظلام والأوقات الصعبة سيكون شك في محبة الله لنا. لذا يلزمنا الصلاة بثقة وحياة وافرة.

الخاتمة

دعونا نترك بكل بساطة سلوكنا ليتوافق مع حقيقتنا الأعمق وما نحن عليه. لندع الله يعّبر عن وعينا بأننا اطفال الله ومن ثم فإن وعي ذواتنا سيتحدد ليصبح صلاة. يجب ان يكون لدينا اثناء الصلاة وعي كامل انه ليس شيئاً مضافاً عليها ولكن وعي بما نحن عليه وإدراك لما في كياننا، وتبقى حقيقتنا الأعمق حتى عندما نسير في الظلام.[5]

[5] يمكن أن تكون الصلاة معنونة لله بشعور كامل، إنه الموقف المناسب امامه فقط. هذا ما تم توضيحه بكل ما تحدثنا عنه أعلاه. إن ما نسميها الصلاة الى القديسين - رُبما ندعوها من اجل طلب شفاعتهم – هي تلك المشكلة المسكونية التي تظهر لنا فإنها ليست مشكلة حول الصلاة ولكن حول مشاركة القديسين ولهذا لم يتم التطرق اليها. إن ما نرغب أن نؤكده هنا بأن الصلاة، بمعنى قوي، يمكن أن تكون معنون نحو الله فقط. اللاهوت الكاثوليكي بإستعماله كلمتين مختلفتين لعبادة الله واجلال القديسين يصنع هذه الخطة.